المملكـــة العربيـــة السعوديـــة
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الريـــاض - حـــي سلطـانة

الدورة العلمية السنوية 30
جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

تفريغ شرح كتاب

مختصر سيرة النبي ﷺ
وسيرة أصحابه العشرة

الحافظ تقي الدين المقدسي - المتوفى سنة ٦٠٠ هـ - رحمه الله

للشيخ:
د. أمير بن أحمد قروي

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإني أحمد الله -جل وعلا- الذي منّ علينا بهذا اللقاء وهذا الاجتماع في هذا الجامع المبارك، جامع شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي -رحمه الله تعالى-، في هذه الدورة المباركة النافعة، في دورتها الثلاثين.

وإن الاستمرار في هذه الدورات لهذه المدة الطويلة -ثلاثين سنة- لَمِن عاجلِ بُشرى المؤمن -إن شاء الله تعالى-، فإن الله -تبارك وتعالى- يوفق للخيرات من كان صادقا في عمله مقبلا على ربه يريد وجهه -سبحانه وتعالى- دون من سواه.

فالشكر والدعاء للقائمين على هذه الدورة المباركة، ولفرع وزارة الشئون الإسلامية على حرصها على إقامة هذه الدورات لنفع طلبة العلم وعموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ودرسنا في هذه الأمسية في التعليق على كتاب مختصر عظيم في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسيرة العشرة من أصحابه، للإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي -رحمه الله تعالى-، ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد صاحب كتاب عمدة الأحكام، الكتاب المشهور بين طلبة العلم في ضبط أحاديث الأحكام.

وقد وُلد -رحمه الله تعالى- سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، في مدينة نابلس بأرض فلسطين، وتتلمذ -رحمه الله تعالى- لجماعة من أكابر الأئمة والحفاظ، كالشيخ الإمام العلامة عبد القادر الجيلاني، أو الكيلاني -رحمه الله تعالى- والإمام الحافظ أبي طاهر السِلَفي -رحمه الله تعالى-، والإمام الحافظ أبي الفتح الخِرَقي صاحب المختصر المشهور عند أئمة الحنابلة، والذي وضع عليه الإمام الموفق ابن قدامة شرحه المشهور: المغني في الفقه، الشرح الكبير.

وتتلمذ على الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي جماعة من العلماء الكبار منهم موفق الدين ابن قدامة المقدسي -رحمه الله تعالى- صاحب المغني، ومنهم الضياء المقدسي صاحب المختارة في الحديث، ومنهم أيضا بهاء الدين ابن أبي عمر، رحم الله الجميع.

للإمام الحافظ عبد الغني المقدسي -رحمه الله تعالى- كتب عظيمة هي عمدة في بابها، سارت بها الركبان وتلقاها أهل العلم وطلبة العلم بالقبول، منها كتاب الكمال في أسماء الرجال، وهذا الكتاب عمدة في معرفة رجال أصحاب الكتب الستة، وعليه المعوّل، وقد نَسج على منواله وسار في ركابه جماعة من الأئمة الحفاظ تهذيباً وتذهيباً وتقريباً، كما هو معلوم مشهور في كتب الرجال.

ومن مصنفاته -رحمه الله تعالى- أيضاً كتاب عمدة الأحكام، وهذا كتابٌ مشهور يحفظه طلبة العلم قديماً وحديثاً وهو من أشهر كتب أحاديث الأحكام، عمد المصنف -رحمه الله تعالى- لاختيار جملة من أحاديث الأحكام مما صح عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين أو أحدهما، وكتابه هذا وكتاب الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني -رحمه الله تعالى- عمدة في هذا الباب، يحفظه طلبة العلم قديماً وحديثاً.

ومن كتبه أيضاً العظيمة المغمورة كتابه: النصيحة في الأدعية الصحيحة، كتاب مختصر عمَد فيه -رحمه الله تعالى- إلى جملة من الأحاديث التي صحَّت والتي فيها أدعية ثابتة عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- تغني عن كثير من الكتب والمُصنَّفات التي لا تُعنى بالصحيح من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكذا الكثير من كتب الطوائف المخالفة الذين جمعوا فيها أدعية غير ثابتة لا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا عن صحابته الكرام، ولا هي مما هو مثبت في كتاب الله -تبارك وتعالى-، بل إن بعضها مُشتمل على مخالفات قد تكون عظيمة تصل إلى حد الشرك بالله -تبارك وتعالى-، فعمَد الحافظ عبد الغني المقدسي إلى جمع أدعية ثابتة صحيحة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ومن مصنفاته هذا المختصر، وهو كتاب مغمور أيضا بين طلبة العلم، جمع فيه مصنفه -رحمه الله تعالى- جملة من أهم أحداث السيرة وأهم الأخبار التي تعنى بسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

لم يعمد -رحمه الله تعالى- إلى تفصيل أحداث السيرة وإنما ذكر أهمها؛ لتكون حاضرة بين طلبة العلم وبين العلماء.

توفي -رحمه الله تعالى- يوم الاثنين في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول عام ست مئة لهجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وله تسع وخمسون سنة.

وهذا الكتاب ليس له شروح بين طلبة العلم إلا ما طبع مؤخرا من شرح الشيخ عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي -رحمه الله تعالى- في كتاب حافل كبير اسمه: المورد العذب الهني على السيرة للحافظ عبد الغني، كبير فيه بعض الاستطراد وبعض الطول لكنه مفيد لطالب العلم إذا عمد إلى دراسته واختصاره والتقاط الفائدة المناسبة منه.

فنقرأ -إن شاء الله تعالى- في هذا الكتاب ونعلق تعليقات مختصرة مناسبة للمقام حتى نأتي على كامل الكتاب، بحول الله تعالى وقوته.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين وللمشاهدين ولجميع المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي.

قال الشيخ الإمام الحبر الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي -رضي الله عنه وأرضاه-:

الحمد لله خالق الأرض والسماء، وجاعل النور والظلماء، وجامع الخلق لفصل القضاء؛ لفوز المحسنين وشقوة أهل الشقاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يسعد بها قائلها يوم الجزاء، وصلى الله على سيد المرسلين والأنبياء، محمد وآله وصحبه النجباء.

أما بعد فهذه جملة مختصرة من أحوال سيدنا ونبينا المصطفى محمد -صلى الله عليه وسلم- لا يستغني عنها أحد من المسلمين، نفعنا الله بها ومن قرأها وسمعها.

نسبه -صلى الله عليه وسلم-...

ابتدأ ناسخ هذا الكتاب بهذه المقدمة، وهي قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وبه ثقتي، رب الطف يا لطيف.

ثم: قال الشيخ الإمام العالم العامل القدوة الأوحد الحبر، إلى آخر ما ذكر -رحمه الله تعالى-، وهذه المقدمة هي من وضع النُساخ.

والمحققون اختلفوا في التعامل معها، فجمهور المحققين على التعامل معها كما يتعاملون مع النص المراد تحقيقه، فيذكرون اختلاف النسخ واختلاف هذه المقدمات وينبهون على ما ورد في ذلك من اختلاف، وهذا الذي عليه جمهور المحققين.

وبعض المحققين يُغفل مثل هذه المقدمات ويبدأ بكلام المصنف -رحمه الله تعالى-، استغناءً بكلامه عن كلام هؤلاء النُساخ.

والوسط في هذا الأمر أن مثل هذه المقدمات يعتنى بها وتذكر إذا كان فيها شيء من الفائدة كتاريخ نسخ الكتاب، أو سند هذه النسخة، فمثل هذا مما يعتني به المحقق ويحرص على ذكره؛ لأن فيه زيادة فائدة وفيه زيادة علم، ولهذا قد جاء في نسخة من نسخ هذا الكتاب والتي لم يعتمدها المحقق -وفقه الله- وهي نسخة محفوظة في المكتب الأحمدية بحلب جاء فيها أنها نسخة رواها ابن المصنف -رحمه الله تعالى- عن أبيه وهو عبد الله بن عبد الغني، ونقلها ناسخها عن نسخة مقروءة على مصنّفها وعليها خط المصنّف عبد الغني المقدسي -رحمه الله تعالى-، وذلك في شهور سنة ستمائة، بفسطاط مصر، وهذا يفيدنا أن هذه النسخة المقروءة على المصنف -رحمه الله تعالى- قُرئت عليه قبل وفاته بأشهر -رحمه الله تعالى-.

وقد ابتدأ المُصنِّف -رحمه الله تعالى- كتابه بحمد الله -تبارك وتعالى- بأربعة من أفعاله -جل وعلا-، وهذه الأفعال التي ذكرها -رحمه الله تعالى- فيها تذكيرٌ بالنشأتين الأولى والآخرة، فقال: الحمد لله خالق الأرض والسماء وجاعل النور والظلماء.

ثم قال: وجامع الخلق لفصل القضاء، لفوز المحسنين وشقوة أهل الشقاء.

هذا تذكير من المصنف -رحمه الله تعالى- أن هذه الدنيا إنما تؤول إلى الموت وإلى الفناء، وأن الناس منقسمون إلى شقي وسعيد، فالسعيد من كان على هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- سائرا على سيرته.

فكأن المصنف -رحمه الله تعالى- أشار في هذه المقدمة إلى أن هناك فائزا محسنا وهناك شقيا من أهل الشقاء، وأن هذا الفوز إنما يُنال بمتابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- والسير على هديه.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يسعد بها قائلها يوم الجزاء.

وقد اقتصر المصنف -رحمه الله تعالى- هنا على الشهادة لله -تبارك وتعالى- بالوحدانية ولم يذكر الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة، فكأنه اقتصر بالشهادة لله -تبارك وتعالى- بالوحدانية على الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة لاندراجها فيها، فإنه من المعلوم أنه لا يقبل من أحد شهادة لله -تبارك وتعالى- بالوحدانية حتى يشهد للنبي -صلى الله عليه- بالرسالة.

ثم إن المُصنِّف -رحمه الله- لعله اقتصر على الشهادة بالله -تبارك وتعالى- بالوحدانية لأنه قال بعد ذلك: وصلى الله على سيد المرسلين والأنبياء محمد وآله وصحبه النجباء، فاكتفى بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- بالإشارة إلى الصلاة عليه أو الشهادة له بالرسالة.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: فهذه جملة مختصرة من أحوال سيدنا ونبينا محمد المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، لا يستغني عنها أحد من المسلمين.

هذه الجملة ذكر فيها -رحمه الله تعالى- صفات هذا المختصر، فذكر أنه قد جمع في مختصره جملة من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأنه لم يعمد إلى ذكر تفاصيل سيرته -عليه الصلاة والسلام- وأن هذه الجملة مختصرة، فيها إشارات، وطالب العلم المبتغي للتوسع يعمد إلى الكتب المسندة والكتب التي فصلت في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وأن هذه الجملة المختصرة هي من أحوال سيدنا -صلى الله عليه وسلم-، وأن من صفاتها أنه لا يستغني عنها أحد من المسلمين.

وفي قوله -رحمه الله تعالى-: من أحوال سيدنا ونبينا المصطفى، المصطفى هو وصف من أوصاف النبي -صلى الله عليه وسلم- وليس اسما من أسمائه كما يظن بعض الناس، فإن المصطفى من أوصاف النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد شدَّد شيخنا العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- في شرح العقيدة السفّارينية على هذا الأمر، وذكر أن الناس يتتابعون في ذكر أن من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- المصطفى.

وأن ذلك من أوصافه وليس من أسمائه، وأنه لم يؤثر فيه، عن أحد من اصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: قال المصطفى، أو حدثنا المصطفى، أو سمعت المصطفى، وإنما يقولون: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال نبي الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا يقولون مثل هذا الوصف، فيُتنبه لمثل هذا.

نعم

نسبه -صلى الله عليه وسلم-، فنبدأ بنسبه، فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد ابن آل مقوّن ابن ناحور ابن تيرح ابن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح -وهو آزر- بن ناحور بن ساروع بن راع بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متولشخ ابن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون، وهو أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم، بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام.

هذا النسب ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدني في إحدى الروايات عنه، وإلى عدنان متفق على صحته من غير اختلاف فيه، وما بعده مختلف فيه، وقريش بن فهر بن مالك، وقيل النضر بن كنانة..

ابتدأ المصنف -رحمه الله تعالى- بذكر نسب النبي -صلى الله عليه وسلم-، هذا النسب الزكي الطاهر وابتدأ في ذكر نسبه بكُنيته -عليه الصلاة والسلام-، وهذا من باب التعظيم والتفخيم، فإن العرب إذا أرادت أن تعظم أحدا كنّته، هذا من طبيعة العرب فإنهم في التعظيم للرجال يكنّون، كما قال الشاعر:

أُكنيه حين أناديه لأكرمه ** ولا ألقّبه والسوءةَ اللقبا

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في تحفة المودود وفي أحكام أهل الذمة وفي كتاب الهدي أن العرب تعمد إلى التكنية وهذا من باب التكبير والتفخيم للمُكنى والإكرام له، وذكر هذا البيت -رحمه الله تعالى- واستشهد به.

ويتعلق بكُنية النبي -صلى الله عليه وسلم- عدة أمور:

الأمر الأول: أن القاسم الوارد في كنية النبي -صلى الله عليه وسلم- هو بِكر ولده -صلى الله عليه وسلم- من خديجة -رضي الله عنها-، وعادة العرب أنها تُكني بالبكر من الأولاد، فإذا كان للرجل أولادٌ فإنها تُكني بالأكبر من هؤلاء الأولاد، وهذه هي العادة وهذا هو الغالب، وربما كنّت بالبنت إذا كانت سابقة، فإذا جاء الولد إما أن يُكنوا به وإما أنهم يبقون على التكنية بالبنت، وكذلك ربما كنوا بولد ليس للرجل ذلك الولد.

فيُكنُّون بأم عبد الله كما هي تكنية عائشة وليس لها ولد.

وربما يكنون باسمٍ ليس من أولاد ذلك الرجل أصلا، فيُكنون مثلا بأبي عبد الله وليس في أولاده عبد الله، فهذه عادة العرب، والعادة الغالبة في تكنية العرب للرجال أنهم يكنون بأكبر الأولاد.

المسألة الثانية المتعلقة بكُنية النبي -صلى الله عليه وسلم- أن كُنيته -صلى الله عليه وسلم- بأبي القاسم هي أشهر كنية له -عليه الصلاة والسلام-، ولا خلاف في ذلك كما قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-، وقد أخرج الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن الزهري عن أنس -رضي الله تعالى عنه- أنه لما وُلد إبراهيم للنبي -صلى الله عليه وسلم- جاء جبريل للنبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: يا أبا إبراهيم.

وهذا لا يثبت، تفرّد به ابن لهيعة، وبه أعله الطبراني والذهبي وغيرهم من أهل العلم.

وقد قرَن جماعة من الحفاظ بين الكنيتين بين كنية أبي إبراهيم وأبي القاسم، كالحافظ علاء الدين مغلطاي -رحمه الله تعالى- في كتابه الإرشاد.

وذكر أبو الحسن الباهلي -رحمه الله تعالى- في الذخائر والأعلاق: أن كنية النبي -صلى الله عليه وسلم- في التوراة: أبو الأرامل، وهذا مشهور في كتب السيرة والتاريخ.

المسألة الثالثة المتعلقة بكنية النبي -صلى الله عليه وسلم-:

أن معنى القاسم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعثه ربه قاسما بين الناس، ولهذا صح عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- كما في البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يرفعه أنه قال «ما أعطيكم ولا أمنعكم، أنا قاسم أضع حيث أمرت» فهذا معنى كنيته -عليه الصلاة والسلام.

المسألة الأخرى المتعلق بكنية النبي -صلى الله عليه وسلم-، أن الإمام النووي أبا زكريا -رحمه الله تعالى- ذكر خلاف أهل العلم في كتابه المجموع في التكني بكنية النبي -صلى الله عليه وسلم-، هل يجوز التكني بكنية النبي -صلى الله عليه وسلم- فيكنى الرجل بأبي القاسم؟

ذكر خلاف أهل العلم في ذلك ونقل عن الشافعي -رحمه الله تعالى- النهي عن ذلك مطلقا سواء كان اسم الرجل محمدا أو غيره، فهذا مذهب الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-، أسنده عنه البيهقي -رحمه الله تعالى- بإسناد صحيح، وكذا البغوي -رحمه الله تعالى-، وذكره أيضا وأسنده عنه ابن عساكر في أول تاريخه في ترجمة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وذهب الإمام مالك -رحمه الله تعالى- إلى جواز التكني بكنية النبي -صلى الله عليه وسلم-، وحمل النهي على أن ذلك كان في حياته، لأن النهي الذي ورد في قوله -عليه الصلاة والسلام- «تسموا باسمي ولا تكَنّوا بكنيتي» كان قاله -عليه الصلاة والسلام- لما نادى رجل آخرَ بقوله يا أبا القاسم فالتفت النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال الرجل: لست أعنيك يا رسول الله، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «تسَموا باسمي ولا تكَنوا بكنيتي» حمل الإمام مالك -رحمه الله تعالى- وغيره النهي في ذلك أنه ما كان في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

والثالث من المذاهب فيما حكاه النووي -رحمه الله تعالى-: الجواز لغير من كان اسمه محمدا، فإن من كان اسمه محمدا لا يجوز له أن يتكنى بكنية أبي القاسم، أما من كان اسمه غير محمد فإنه يجوز له التكني بذلك.

وذكر -رحمه الله تعالى- أن هذا وجه ذكره الرافعي -رحمه الله تعالى- وهو مُخرّج على قول مالك -رحمه الله تعالى- بأن التحريم خاص بزمن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ثم ساق المصنّف -رحمه الله تعالى- نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من أبيه عبد الله إلى آدم -عليه السلام-.

والتحقيق في نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول متفق عليه، وهو جر نسبه -عليه الصلاة والسلام- من أبيه عبد الله إلى عدنان، وقد حكى الاتفاق على ذلك جماعة من أهل العلم العارفين بالسيرة والأنساب، منهم ابن فارس والذهبي وابن القيم وابن كثير، بل ذكر ابن كثير أن ذلك ثابت بالتواتر والإجماع، والعراقي -رحمه الله تعالى- أشار إلى ذلك في ألفيته بقوله:

وهو ابن عدنان وأهلُ النسبِ ** قد أجمعوا إلى هنا في الكتبِ

وقد أشار المصنف -رحمه الله تعالى- إلى هذا المعنى في قوله: وإلى عدنان متفق على صحته من غير اختلاف فيه، وما بعده مختلف فيه.

هذا هو القسم الأول.

القسم الثاني، وهو القسم المختلف فيه، وهو جر نسبه -عليه الصلاة والسلام- من عدنان الى آدم -عليه السلام-، ومن تكلم في هذا النسب وجزم به إنما تكلم فيه من باب التخرص، كما قال عروة بن الزبير، وروي ذلك عن عائشة -رضي الله تعالى عنها-

ولهذا، الأمر عندنا الإمساك عن نسبه -عليه الصلاة والسلام- من عدنان إلى آدم -عليه السلام- كما قال الإمام ابن سعد في الطبقات.

وقد جزم بعض أهل العلم بصحة نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من إبراهيم إلى آدم -عليه السلام- كالإمام ابن دُريد في كتاب الاشتقاق، وعُمدته في ذلك أن هذا مشهور في كتب أهل الكتاب.

ومثل هذا فيه نظر فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم»

فالجزم بأن ما كان في كتبهم صحيح ثابت هذا محل نظر، لما جاء به التوجيه عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- من عدم تصديقهم وتكذيبهم، هذا هو القسم الثاني.

القسم الثالث وهو كلية متفق عليها بين عدنان وآدم -عليه السلام-، وهو أن أهل النسب متفقون على أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-، وأن ابراهيم من ولد سام بن نوح -عليه السلام- وأن نوحًا من ذرية آدم -عليه السلام-، فهذه الكُلية متفق عليها، وما بين ذلك مختلف فيه، ومن تكلم فيه إنما تكلم فيه تخرصا.

ولهذا رأى جماعة من السلف الإمساك عن رفع نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى آدم -عليه السلام- وكرِه ذلك، منهم محمد بن كعب بن القُرظي -رحمه الله تعالى-، والإمام مالك -رحمه الله تعالى-.

ثم قال المصنف -رحمه الله تعالى-: هذا النسب ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدني في إحدى الروايتين عنه.

وقد اشار البيهقي -رحمه الله تعالى- في الدلائل لهذا الاختلاف وذكره أيضا المُصنِّف كما أشار إليه الشارح في جملة من مواضع السيرة، قال -رحمه الله تعالى-: وإلى عدنان متفق على صحته من غير اختلاف فيه، وما بعده مختلف فيه، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: وقريش هو ابن فهر بن مالك، وقيل النضر بن كنانة.

-رحمه الله تعالى- وهما قولان مشهوران عند أهل السيرة، أن قريشا هو فهر بن مالك، وقيل هو النضر بن كنانة، هذان هما القولان المعروفان المشهوران، وما قيل من الأقوال غير ذلك فهي أقوال بعيدة عن الصواب، استغربها العلماء وحكموا على شذوذها وبعدها عن الصواب، مثل قول من قال بأن قريشا هو إلياس بن مُضر بن نزار، فهذا قول بعيد.

وكذلك من قال بأنه أبوه وهو مُضر بن نزار، وهذان قولان معروفان لبعض أصحاب الشافعي، ذكرهما الرافعي في شرحه، وهما وجهان غريبان جدا كما ذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-.

وقول المصنف -رحمه الله تعالى-: وقريش هو ابن فهر بن مالك: هذا القول عليه جماعة من أهل المعرفة بسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، منهم هشام بن السائب الكلبي، ومنهم الزبير بن بكار، والزهري وغيرهم، بل إن الزهري -رحمه الله تعالى- قال: قد اجتمع أهل النسب من قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت عن فهر.

وذكر الحافظان ابن كثير -رحمه الله تعالى- وابن حجر أن هذا القول هو قول أكثر أهل النسب.

والقول الثاني هو الذي أشار إليه المؤلف -رحمه الله تعالى- بقوله: وقيل بأن قريشا هو النضر بن كنانة.

وهذا القول هو قول أكثر العلماء والمحققين، ما أشار إليه المصنف هنا بصيغة التمريض هو قول أكثر العلماء والمحققين كما قال الحافظ ابن كثير.

وقد ساق الحافظ ابن كثير دليلا على ذلك بما رواه ابن ماجة -رحمه الله تعالى- في سننه بإسناده عن الأشعث بن قيس -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في وفدِ كندة، فقلنا: يا رسول الله ألستم منا؟ قال -عليه الصلاة والسلام- «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا» وهذا نص قاطع في محل النزاع وفيصل في المسألة ولله الحمد.

فقريش جِماعها النضر بن كنانة، والمشتهر عند العلماء من أهل السيرة أنه فهر بن مالك، وقد قال العراقي -رحمه الله تعالى- في ألفيته:

أما قريش فالأصح فهرُ ** جِماعها والأكثرون النضرُ

هذا الذي رجحه العراقي -رحمه الله تعالى- ونسب أن قُريشا هو النضر بن كنانة إلى أكثر أهل العلم، وهو الذي رجحه البدوي الشنقيطي -رحمه الله تعالى- في كتابه عمود النسب، قال:

قريشٌ النضرُ وقيل فهرُ ** وبالبطاح كعب استقروا

وبالظواهر سواهم ابذعَرّ ** والحِمس كل من على الحمس استقرّ

ويتعلق بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- عدة أمور:

الأمر الأول: أن نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- هو أعظم نسب وأشرف نسب وُجد من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويكفي في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث واثلة ابن الأسقع -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»

فهو خيار من خيار -عليه الصلاة والسلام-.

الأمر الثاني المتعلق بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- أن نسبه -عليه الصلاة والسلام- هو أطهر نسب، ولهذا جاء عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنه قال «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح» وهذا الحديث الصواب فيه أنه مرسل من حديث جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين -رضي الله عنهم-، رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة -رحمهم الله تعالى-، ولا يصح في المرفوع منه شيء، كما جزم بذلك جماعة من أهل العلم كالحافظ ابن كثير، وضعّف المرفوع منه.

الأمر الثالث المتعلق بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- ما أشار إليه بعض أهل العلم وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي الجزائري -رحمه الله تعالى- بقوله:

وواجبٌ في حق ذي التكليفِ ** معرفةٌ بالنسب الشريفِ

محمدُ المختار من خير العرَبْ ** أبوه عبد الله عبد المطلبْ

إلى أن قال -رحمه الله-:

وليس مما فوق عدنان خبرْ ** معوّلٌ عليه من أهل الأثَرْ

قال: وواجب في حق ذي التكليف ** معرفة بالنسب الشريفِ

فما هو القدر الواجب من معرفة نسب النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

الصحيح من أقوال أهل العلم أن القدر الواجب من معرفة نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- هو معرفة اسمه، فمن عرف اسمه -عليه الصلاة والسلام- قد تحقق عنده معرفة القدر الواجب من نسبه -عليه الصلاة والسلام-، وربنا -تبارك وتعالى- يقول كما في آل عمران ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

قال وما محمد.

ويقول -تبارك وتعالى- في سورة الأحزاب ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ويقول في سورة محمد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢].

وقال في سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذا هو القدر الواجب من معرفة نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- دون الزائد من نسبه -عليه الصلاة والسلام-، سواء المتفق عليه أو المختلف فيه أو الكُلّية التي أشرنا إليها في كلام أهل العلم.

وأعظم شهادة هي الشهادة لله -تبارك وتعالى- بالوحدانية والشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة، ومع ذلك الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة وأشهد أن محمدا رسول الله، فلو كان هناك قدر واجب زائد على هذه المعرفة لبيَّنها الله وبيّنها نبينا -صلى الله عليه وسلم-، وهذا لم يرد في الأحاديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عُني ببيان نسبه، ولا في شيء من آثار الصحابة -رضي الله عنهم-، إلا الشيء اليسير، وكثير منه هو محل نقاش ومحل كلام من جهة الصناعة الحديثية، إلا ما جاء في حديث ابن ماجة السابق في حديث الأشعث بن قيس لمّا قال له أنتم منا فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- «نحن من بني النضر بن كنانة».

الأمر الرابع المتعلق بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الأسماء الواردة في نسبه -عليه الصلاة والسلام- مما كانت عربية فإن الغالب فيها التلقيب، فعبد المطلب مثلا اسمه شيبة على الصحيح، وليس عبد المطلب اسما له، فهذا لقب له، وكذلك ما قيل في هاشم، فإن اسمه عَمرو، وما قيل في قصي، فإن اسمه زيد، وما إلى ذلك، فإن الغالب في هذه الأسماء التي وقعت عربية في نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها من الألقاب وليست من الأسماء، وأن هذه الأسماء الأعجمية التي وقعت في نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- باللغة السريانية يكثر فيها الخلاف ولا يستقر فيها الناقلون على قول، ويختلف ضبطها للاختلاف في النقل عن أهل الكتاب.

الأمر الخامس المتعلق بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم-: أنه لم يثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رفع نسبه في حديث صحيح، فقد جاء في ذلك أحاديث، منها حديث أنس وحديث أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عند البيهقي في الدلائل وغيره، وقد تفرد به عبد الله بن محمد بن ربيعة القُدامي عن أنس -رضي الله عنه-، وعن غيره، والذي تفرّد عن أنس له أفراد لا يتابع عليها ولذلك لا يلتفت إلى ما جاء في الأحاديث المرفوعة التي فيها ذكر نسب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

نعم

أمه -صلى الله عليه وسلم-.

وأم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آمنة بنت وهب...

مثل ما ذكر القارئ -وفقه الله- من قوله: أمه -صلى الله عليه وسلم- والفقرة السابقة التي قال فيها: القسم الأول: سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو نسب النبي -صلى الله عليه وسلم-، هذا مما يذكره المحققون، ومثل هذا من التدخل والتصرف في كلام المصنفين، فهذه العناوين ليست من كلام المصنف، وهذا يكثر في الكتب المحققة.

من أراد أن يبيّن شيئا له مجال وله سعة في أن يذكر ذلك في الهامش أو يذكر ذلك في الحاشية، أما أن يتدخل المحقق فيذكر شيئا لم يذكره المصنف ويُقحمه في متن الكتاب هذا من التدخل في النصوص، فمثل هذا لا يُلتفت إليه ولا يُقرأ.

ومثل هذا يحصل فيه الخلل ويحصل فيه التقصير كما سيأتينا، فقد ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- فيما يُستقدم من كلامه، ذكرَ تكفين النبي -صلى الله عليه وسلم- والصلاة عليه، فاقتصر في العنوان على كفن النبي -صلى الله عليه وسلم-، مع أن الصلاة عليه من المسائل المهمة وفيها لطيفة ونكتة يأتي التنبيه عليها، فمثل هذا يُغفل ولا يُقرأ إذا كان متميزا، عندك جزاك الله خيرا.

قال -رحمه الله-: وأم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

نعم ذكر -رحمه الله تعالى- أم النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذكره لنسبه، فنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- متضمن لنسب أبيه، ثم ذكر أمه وذكر نسبها فقال هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، فنسبُ النبي -صلى الله عليه وسلم- من جهة أبيه ومن جهة أمه نسب قرشي، وهذا أكمل الأنساب، أن يكون الرجل قرشيا من جهة أبيه ومن جهة أمه.

ويتعلق بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من جهة أمه عدة أمور.

الأمر الأول: أن أبوي النبي -صلى الله عليه وسلم- يجتمعان في كلاب بن مُرة، ولا يجتمعان في عبد مناف كما توهمه من توهمه، فإن كلابا من آبائه زُهرة، وقد مر في نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فكلاب له ولدان، له زهرة وله قصي، وزهرة وقصي لهما ولد اسمه عبد مناف، فهذا سمى ولده عبد مناف وهذا سمى ولده عبد مناف، فتوهم بعض من توهم في ذكر اجتماع نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من جهة أبيه وأمه أن هذا النسب الشريف يجتمع في عبد مناف، وليس الأمر كذلك، بل إن هذا النسب يجتمع في كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

الوقفة الثانية المتعلقة بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من جهة أمه: أن نسبه كما ذكرنا ينتهي إلى قريش من جهته الأب والأم، وهذا أكمل نسب، سواء قلنا بأن قريشا هو فهر بن مالك، أو قلنا بأن قريشا هو النضر بن كنانة على الصحيح من أقوال أهل العلم.

الوقفة الثالثة المتعلقة بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من جهة أمه: أن زُهرة الوارد في نسب أمه هو اسم رجل وليس زهرة اسما لامرأة، فزُهرة اسم لرجل، خلافا لما جاء في الصّحاح للجوهري وما جاء في المعارف المنسوبة لابن قتيبة، فإن هذا خلاف ما أجمع عليه أهل النسب كما ذكر العيني في عمدة القاري، وذكر السهيلي في الروض أن هذا منكر غير معروف.

وإنما اسم جدهم زُهرة كما قال ابن إسحاق.

الوقفة الرابعة المتعلقة بنسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من جهة أمه: أن آمنة بنت وهب لم تحمل بغير النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلم يولد لآمنة إلا النبي -عليه الصلاة والسلام- محمد بن عبد الله، وهذا القول لا يُعرف خلافه عند أهل العلم، ولهذا لما ذكر الإجماع سبط ابن الجوزي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له إخوة، أن أمه لم تحمل بغيره رد الحافظ ابن حجر عليه وقال إن هذا من مجازفاته، فردّ أهل العلم على الحافظ ابن حجر، منهم الزرقاني -رحمه الله تعالى-، وبيّن أن هذا ليس من مجازفات ابن الجوزي، وأن القول بأنه كان لها سقط أن ذلك لا يُعرف، وأنه لم يتفوه به متفوه.

وجاء في ذلك آثار عن آمنة أن هذا الحمل هو أسهل الحمل الذي حصل لها، وكل ذلك لا يثبت، أسانيده فيها مقال.

نعم

وُلد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة عام الفيل في شهر ربيع الأول، لليلتين خلتا منه، يوم الاثنين.

فقال بعضهم: بعد الفيل بثلاثين عاما، وقال بعضهم: بأربعين عاما، والصحيح أنه وُلد عام الفيل.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذه الفقرة ما يتعلق بولادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فذكر أمرين يتعلقان بمولده -عليه الصلاة والسلام-، الأول يتعلق بمكان ولادته -عليه الصلاة والسلام-، والثاني يتعلق بتاريخ ولادته -عليه الصلاة والسلام-.

ويتعلق بهذا الأمر عدة أمور:

الأمر الأول: ما يتعلق بمكان ولادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد كانت ولادته -عليه الصلاة والسلام- بمكة، وهذا بالإجماع.

حكى الإجماع على ذلك جماعة من الحفاظ كالحافظ ابن كثير وغيره، وما قيل بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- وُلد بعُسفان فهذا قول شاذ مردود كما قال الزرقاني -رحمه الله تعالى- وغيره.

الأمر الثاني: ما يتعلق بعام ولادته -عليه الصلاة والسلام-، فقد جزم المصنف -رحمه الله تعالى- كما ترون هنا فقال إنه وُلد -عليه الصلاة والسلام- بمكة عام الفيل، ثم ذكر طرفا من خلاف أهل العلم في ذلك، فنقل عن بعضهم أنه ولد بعد الفيل بثلاثين عاما، وقال بعضهم بأنه ولد بعد الفيل بأربعين عاما، وقد صحح بعد ذلك أن ولادته كانت عام الفيل، وما صححه -رحمه الله تعالى- هو الثابت عن جابر وابن عباس -رضي الله عنهما- عند ابن أبي شيبة وغيره بإسناد صحيح فهذا هو الثابت عنهما ولا يُعلم لهم مخالف من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد حكى الإجماع على أن ولادة النبي -صلى الله عليه وسلم- عام الفيل حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، كالمنذري وخليفة بن خياط وابن عبد البر في آخرين من أهل العلم، إلا أن حكاية هذا الإجماع منتقض بما رُوي في ذلك من الخلاف، وإن كان الخلاف في ذلك لا يستند إلى أدلة صحيحة، ولهذا ذكر بعض أهل العلم أن هذا قول الجمهور وهو قول الأكثر.

الأمر الثالث: أن الأقوال التي قيلت في عام ولادته -عليه الصلاة والسلام- وأنها بعد الفيل بثلاثين عاماً أو بأربعين عاماً أن هذا من الوهم وأن بعضها لا يثبت نسبته إلى قائليه كما ذكر ذلك الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف، وذكر الذهبي -رحمه الله تعالى- أن قول القائل بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولد بعد الفيل بأربعين عاماً أو بثلاثين عاماً أن ذلك وقع له على سبيل الوهم، فكأنه أراد أن يقول أربعين يوما فقال أربعين عاما.

وهناك أقوال أيضا في هذه المسألة مما يتعلق بمولد النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تثبت لقائليها، ذكر طرفا منها الحافظ بن رجب -رحمه الله تعالى- في لطائف المعارف.

الأمر الرابع المتعلق بمولد النبي -صلى الله عليه وسلم-: ما يتعلق بالشهر الذي ولد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد جزم المصنف -رحمه الله تعالى- بأن نبينا -صلى الله عليه وسلم- وُلد في شهر ربيع الأول، وهذا القول حكى لاتفاق عليه غير واحد من أهل العلم كالحافظ ابن عبد البر وابن الجوزي والنووي في آخرين.

ومستند هذا الإجماع صحة الأثر عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- وعن جابر -رضي الله عنه- الذي سبقت الإشارة إليه، وهناك أقوال أخرى حُكيت في الشهر الذي ولد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-، أشهرها أنه وُلد في شهر رمضان، وهذا ضعفه ابن رجب وحكم عليه بالشذوذ الحافظ ابن كثير والعراقي وغيرهما، وقيل غير ذلك من الأقوال.

الوقفة الخامسة: في اليوم الذي وُلد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد جزم المصنف -رحمه الله تعالى- بأن ميلاد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يوم الاثنين، وهذا لا خلاف فيه وهذا مجمع عليه بين أهل العلم، ويكفي في ذلك حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عند مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري لما سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن صيام يوم الاثنين فقال -عليه الصلاة والسلام- «ذاك يوم ولدت فيه».

فهذا نص في محل النزاع، ولهذا أجمع أهل العلم على أن ميلاد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يوم الاثنين.

وهناك قول ساقط مردود كما قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى-، وهو أن ميلاده كان يوم الجمعة.

مما يتعلق بميلاد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو تاريخ اليوم الذي وُلد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أن ذلك كان لليلتين خلتا من ربيع الأول وهذا قول جماعة كالحافظ ابن عبد البر -رحمه الله تعالى- في كتاب الاستيعاب، وابن كثير في الفصول، ونقل الأجهوري -رحمه الله تعالى- في شرح ألفية العراقي أنه قول الأكثر.

وقد ذكر الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف أن أهل العلم ذكروا في التاريخ الذي ولد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- قولين، أن المعروف في ذلك قولان:

القول الأول أنه ولد في ربيع الأول هكذا بإطلاق من غير تعيين.

والقول الثاني من يعيّن.

ثم اختلفوا في هذا التعيين، والمشهور الذي عليه الجمهور أنه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيعٍ الأول، وهو قول ابن إسحاق وجزم به، وقال به غيره، والحجة في هذا الباب أثر جابر وابن عباس أنه ولد يوم الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيعٍ الأول وهو نص في محل النزاع.

نعم

ومات أبوه عبد الله بن عبد المطلب ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أتى له ثمانية وعشرون شهرا، وقال بعضهم مات أبوه وهو ابن سبعة أشهر، وقال بعضهم مات أبوه وهو في دار النابغة وهو حَمْل، وقيل مات بالأبواء بين مكة والمدينة، وقال أبو عبد الله الزبير بن بكّار الزُبيري: توفي عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابن شهرين، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين، ومات جده عبد المطلب هو ابن ثمان سنين، وقيل ماتت أمه وهو ابن ست سنين.

شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في بيان شيء من نشأة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال -رحمه الله تعالى-: ومات أبوه عبد الله بن عبد المطلب ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أتى له ثمانية وعشرون شهرا، وقد ذكر هذا القول ابن سعد في الطبقات والحاكم أبو أحمد وابن عبد البر -رحمه الله تعالى- في آخرين.

وقال بعضهم مات أبوه وهو ابن سبعة أشهر، ذكر هذا ابن سعد -رحمه الله تعالى- أيضا في الطبقات وابن عبد البر في كتابه الاستيعاب.

قال: وقال بعضهم مات أبوه في دار النابغة، يعني في مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو حمل، وهو قول المحب الطبري -رحمه الله تعالى-.

وقد ذكر الشارح أنه إلى مستهل شهر صفر من عام ثمانية عشر وسبعمائة لم يقف على قائل لهذا القول، وهو أن أباه توفي في دار النابغة وهو حمل -صلى الله عليه وسلم-، فيُستدرك على قول الشارح بأن هذا القول هو قول المحب الطبري في خلاصة سيرة سيد البشر.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: وقال أبو عبد الله الزبير بن بكار الزُبيري: توفي عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابن شهرين.

وهذا هو القول الرابع في المسألة، وذكره ابن أبي خيثمة -رحمه الله تعالى- كما نقل ذلك عنه السهيلي في الروض الأنف.

ثم قال -رحمه الله-: وماتت أمه هو ابن أربع سنين، وهذا سيأتي.

ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين.

في المشهور من أقوال أهل العلم أن عبد المطلب مات والنبي -صلى الله عليه وسلم- ابن ثمان سنين، وهذا قول ابن إسحاق والطبري في تاريخه والبيهقي في دلائل النبوة في آخرين من أهل العلم.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: وقيل ماتت أمه وهو ابن ست سنين.

وقد ذكر في القول السابق الذي نقله عن الزبير بن بكّار الزُبيري أن أمه ماتت وهو ابن أربع سنين، فهذان قولان في عمر النبي -صلى الله عليه وسلم- وسنه عند موت أمه -صلوات الله وسلامه عليه-، وقد نقل هذا القول ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر.

وأما القول الثاني وهو أن أمه توفيت وهو ابن ست سنين، فهذا قول ابن عبد البر ولم يذكر ابن فارس في أوجز سيرة خير البشر غيره من الأقوال.

فالذي يتحرر مما سبق أن وَالِدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- توفِّي ونبينا -صلى الله عليه وسلم- حملٌ في بطن أمه.

وأن أمه -صلوات الله وسلامه عليه- ماتت وهو ابن ست سنين في الصحيح من أقوال أهل العلم.

وأن جده مات وهو -صلى الله عليه وسلم- ابن ثمان سنين.

هذا الذي يتحرر من أقوال أهل العلم، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مات والده وهو حمل في بطن أمه، وأن أمه ماتت وهو ابن ست سنين، وأنه جده مات وهو ابن ثمان سنين -صلوات الله وسلامه عليه-.

نعم

وأرضعته -صلى الله عليه وسلم- ثويبة جارية أبي لهب، وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب، وأبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وأرضعتهم بلبن ابنها مسروق.

وأرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية.

ذكر مصنف -رحمه الله تعالى- هنا رضاع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأول من أرضع النبي -صلى الله عليه وسلم- من؟

هذا هو الترتيب في مرضعات النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأول من أرضع النبي -صلى الله عليه وسلم- أمه آمنة بنت وهب، ولكنها أرضعته يسيرا، قيل بأنها أرضعته ثلاثة أيام فقط، وقيل ستا، وقيل سبعا، وقيل تسعا، هذه الأيام، هذا جِماع ما قيل في رضاع آمنة بنت وهب للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

ثم أرضعته بعد ذلك ثويبة وهي مولاة لأبي لهب وهذا ثابت في الصحيحين من قوله -عليه الصلاة والسلام- ، فقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين أنه ذكر أن من مُرضعاته ثويبة مولاة أو جارية لابي لهب.

وما جاء من قوله -رحمه الله تعالى-:

وأرضعته -صلى الله عليه وسلم- ثويبة جارية أبي لهب -رضي الله عنها- هذا محل نظر، وتراجع النسَخ في ذلك، هل ثبتت هذه الترضية من كلام المصنف -رحمه الله تعالى- أم أنها لم تثبت، وإلا فإن الحافظ أبا نُعيم في كتابه معرفة الصحابة ذكر -رحمه الله تعالى- أنه لم يذكرها في الصحابة غير ابن منده.

وليس ذلك موجودا في الجزء المطبوع من كتاب معرفة الصحابة لابن منده، لم يذكر أن ثويبة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد نقل الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في كتاب الإصابة هذا النص عن أبي نُعيم ثم قال: وفي باب من أرضعن النبي -صلى الله عليه وسلم- في طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تُسلم.

وأطلق ابن القيم -رحمه الله تعالى- خلاف أهل العلم في ذلك ولم يجزم بشيء.

قال -رحمه الله تعالى-: وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب وأبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

أسند أبو نُعيم في دلائل النبوة عن بَرّة بنت أبي تجراة -رضي الله عنها وأرضاها- أن ثويبة أرضعت حمزة قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنها أرضعت أبا سلمة بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الذي يتعيّن من جهة النظر، فإن حمزة عم النبي -صلى الله عليه وسلم- أسن من النبي -صلى الله عليه وسلم- بسنتين وقيل بأنه أسن منه بأربع، فالمتعين من جهة النظر أن يكون حمزة -رضي الله عنه- قد رضع من ثويبة جارية أبي لهب قبل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وحمزة بن عبد المطلب هو عم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأخوه من الرضاعة من ثويبة وأخوه من الرضاعة من حليمة السعدية، فاجتمع لحمزة أن يكون أخا للنبي -صلى الله عليه وسلم- من الجهتين، من جهة ثويبة ومن جهة حليمة.

وأبو سلمة هذا عبد الله كما ذكر المصنّف ابن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد غلبت عليه كنيته كزوجته أم سلمة، وقد شَهد بدرا بخلاف بين أهل العلم، وهو صاحب الهجرتين إلى الحبشة، أسلم بعد عشرة أنفس، وهو أول من هاجر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة من قريش، وهو الذي قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه لما مات: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، وافسح له في قبره ونوّر له فيه، واخلفه في عقبه في الغابرين» كما صح ذلك عند مسلم في صحيحه.

وفي صحيح مسلم أيضا من حديث أم سلمة هند بنت أبي أمية -رضي الله عنها وأرضاها- أن أبا سلمة لما توفي قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأم سلمة «استرجعي وقولي: اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها» فقالت -رضي الله عنها- ومن خير من أبي سلمة؟

فأخلفها الله -تبارك وتعالى- نبينا -صلى الله عليه وسلم- فتزوجها -رضي الله عنها وأرضاها-.

قوله -رحمه الله تعالى- أرضعتهم بلبن ابنها مسروق.

ما ثبت هنا من الترضي في كلام المصنف يقال فيه ما قيل في أمه ثويبة، فإنه تراجع له النسخ هل هذا ثابت في كلام المصنف -رحمه الله تعالى- أم لا.

وقد ذكر الحافظ بن حجر -رحمه الله تعالى- في كتاب الإصابة احتمال أن يكون مسروق قد أسلم، مع أنه جزم بأنه لم يقف على شيء يدل على إسلامه.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: وأرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية.

وأبو ذؤيب هو عبد الله بن الحارث.

أرضعت النبي -صلى الله عليه وسلم- في بني سعد، وكانت ترضع إذ ذاك ابنها عبد الله.

وحليمة السعدية يتعلق بها أمران يجدر التنبيه إليهما.

التنبيه الأول: أنه قد ألف الحافظ على الدين مغلطاي -رحمه الله تعالى- كتابا حافلا في بيان إسلام حليمة السعدية، انفرد بتصنيفه، فإنه لم يُصنَّف فيما أعلم في بيان إسلام حليمة غير هذا الكتاب الذي ألفه الحافظ مغلطاي، وقد طُبع أخيرا، اسمه التحفة الجسيمة في ذكر حليمة، انتصر فيه -رحمه الله تعالى- إلى إثبات إسلام حليمة السعدية، وإن كان النقاش في إسلامها معروف قديم.

وقد ذكر جماعة من العلماء حليمة السعدية في جملة الصحابيات، كابن أبي خيثمة في تاريخه وابن عبد البر وابن الجوزي والمنذري وابن حجر وغيرهم من أهل العلم، وحسبك بهم حجة كما قال الزرقاني في شرح المواهب.

التنبيه الثاني: أن الذي اشتهر من خبر حليمة السعدية في رضاع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنها أتت قريشا، وأنها كانت في قومها في بني سعد في حالة من ضيق العيش وأنها كانت تعرض نفسها على قريش في إرضاع أولادهم، أن هذا الخبر مما اشتهر في كتاب السيرة، وأن أحسن سياقاته ما رواه ابن إسحاق، وعنه ابن هشام، وغيرهم من أهل العلم.

وهذا الخبر المشتهر بالسياق الذي ذكره ابن إسحاق وغيره هذا سياق لا يصح، اضطرب فيه محمد بن إسحاق اضطرابا شديدا مع تدليسه وجهالة بعض رواته ونكارة متنه.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- مع يُتمه لم يكن فقيرا بهذا الحد الذي جاءت صورته في الرواية التي ساقها محمد بن إسحاق، فإنه كان في كفالة جده عبد المطلب.

وقد ورث النبي -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في كتب السيرة ورث أشياء ورث جارية، وورث خمسة من الإبل، وورث قطعة من الغنم، وورث سيفا، وورث فضة، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان عنده شيء من الميراث ولم يكن فقيرا بالحد الذي صورته هذه الرواية.

كذلك ما جاء في هذه الرواية بأن حليمة لم تعرف عبد المطلب، هذا مُنكر فإنه قد سبق لها أن أرضعت حفيده أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فكيف لا تعرف عبد المطلب.

الأمر الثالث الذي يدل على نكارة هذه القصـــة أن عبد المطلب قد تزوج من بني ســـعد، تزوج صـــفية بنت جندب، وهي من بني معاوية بن بكر بن هوازن، وهم من بني سعد، فكيف لا يُعرف؟

وكذلك ما جاء في هذه الرواية أنها كانت قليلة الحليب وأنها لا تجد ما ترضـــع به ابنها، فكيف لا تجد ما ترضع به ابنها ثم تعرض نفسها على إرضاع اولاد قريش؟

كذلك ما ذكر من حال هذه القبيلة، قبيلة بني سـعد وأنهم كانوا في ضـيق من العيش، كيف بقريش ورجالات قريش وهؤلاء الصناديد أن يرموا بأبنائهم إلى هذه القبيلة وهم في هذه الحالة من ضيق العيش؟

والشأن في ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أرضعته حليمة في بني سعد، على ما كان من أحوال العرب أنهم يرســـلون أبناءهم إلى البادية وإلى القرى لينالوا بذلك الشـــجاعة وينالوا بذلك الأخلاق التي عليها أهل البادية، وكذا النجابة كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح.

بقي التنبيه لأن جماعة من أهل العلم ذكروا أن هناك مرضـعات للنبي -صـلى الله عليه وسـلم- كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير وذكر ذلك الصـــالحي في آخرين من أهل العلم، ولا يثبت في ذلك كبير خبر، والمعول عليه أن مرضعات النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاث.

قال -رحمه الله-: فصل في أسمائه -صلى الله عليه وسلم-.

[الشيخ: نعم، هذا من كلام المُصنّف، فصلٌ في أسمائه -صلى الله عليه وسلم-]

روى جبير بن مطعم قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «إني أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشـر الذي حشَـر الناس، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي» صـحيح متفق عليه.

وروى أبو موسى عبد الله بن قيس قال: سمّى لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: «أنا محمد وأنا أحمد والمقفّي ونبي التوبة ونبي الرحمة» وفي رواية «ونبي الملحمة» وهي المقتلة صحيح رواه مسلم.

وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، فإذا كان يوم القيامة لواء الحمد معي وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم»

وسماه الله -عز وجل- في كتابه العزيز بشيرا ونذيرا ورؤوفا ورحيما ورحمة للعالمين -صلى الله عليه وسلم-.

عقد المصنف -رحمه الله تعالى- هذا الفصل في بيان أسمائه -صلى الله عليه وسلم-.

ومن فقه المصنف -رحمه الله تعالى- أنه اقتصر في هذا الباب على ذكر الأدلة الدالة على أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم-، فذكر في هذا ثلاثة أحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وذكر آيتين وأشار إلى ثالثة، وذلك أن الناس قد توسعوا في هذا الباب، في باب أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى نقل ابن العربي المالكي في العارضة في شرحه على جامع الترمذي أن بعض الصوفية ذكر أن أسماء الله -تبارك وتعالى- ألف اسم وكذلك أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فهذا من التوسع، فالثابت في تسمية النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي جاءت به النصوص في كتاب الله -تبارك وتعالى- وفي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وابن الجوزي -رحمه الله تعالى- في كشف المشكل من أحاديث الصحيحين ذكر أن أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة وعشرون اسما، وذكر -رحمه الله تعالى- أن عامة هذه الأسماء من الأوصاف وليست من الأسماء، وقد تبع في تعدادها ابن فارس -رحمه الله تعالى-، وكتاب ابن فارس مطبوع بعنوان: أسماء رسول

الله -صلى الله عليه وسلم- ومعانيها، طبع بأخرة، والمثبت في هذه النسخة من كتاب ابن فارس عشرون اسما فقط، فلعله لم يصلنا الكتاب كاملاً.

وقد ذكر ابن دحية في كتاب المستوفى في أسماء المصطفى أنه سبر أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتاب الله -تبارك وتعالى- وفي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي الكتب المتقدمة من كتب أهل الكتاب فبلغت الثلاثمائة اسم.

وقد نقل ابن القيم في كتاب الهدي عن ابن دحية أن أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- ألف اسم، ولعل هذا من الوهم الذي وقع للإمام أبي عبد الله ابن القيم -رحمه الله تعالى-، وإلا فإن هذا القول معروف عن بعض الصوفية كما ذكر ابن العربي في العارضة.

وابن دحية -رحمه الله تعالى- له كتاب آخر اسمه السراج المنير في مولد البشير النذير، ذكر فيه أنه جمع من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- تسعين اسماً، فلعل ما ذكره كان في أول تصنيفه وإلا فإن المذكور في كتابه المستوفى قد بلغ هذا المبلغ من العدد وهي الثلاثمائة اسم، وقد بلغ بأسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- السخاوي في القول البديع إلى أربعمائة وثلاثين اسماً، وكذلك الصالحي في سبل الهدى والرشاد أوصلها إلى خمسمائة اسم.

الشاهد من هذا أن العلماء الذين جمعوا أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- قد اختلفوا في العدد، وقد بالغ بعضهم وأوصلها إلى هذا العدد الكبير من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

والتحقيق أن عامة هذه الأسماء من الأوصاف وليست من الأسماء، كما ذكر ذلك ابن الجوزي والذهبي في آخرين من أهل العلم.

وممن ألف في أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- مصنفا خاصا: الحسين بن حماد بن حمدان النصيري المتوفى عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة، فلعل الحسين هذا -رحمه الله تعالى- أول من ألف في اسماء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

كما نظم أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- جماعة من أهل العلم كأبي الفتح اليعمري، نظم أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- الواردة في القرآن، نقلها الصفدي في الوافي بالوفيات.

وممن نظمها أيضا عبد الباسط بن محمد البلقيني الشافعي -رحمه الله تعالى- في كتابه الوفا بشرح الاصطفا في أسماء المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وذكر في مقدمتها أبياتا في الغزل، على طريقة العرب في ذكر أبيات الغزل في مطلع قصائدهم، قال فيها:

أبرقٌ لامعٌ سحرًا تبسّمْ ** أم الشمس المضيئة لم تغيّمْ

أم البدر المنير بدا بنجدٍ ** أم ابتسمت ثغور ضبا المخيّمْ

أم اشتمل النسيم على سلامٍ ** من المحبوب أم ذكراه هيّمْ

فما للصب أضحى مستهامًا ** ودمع العين في خديه عندمْ

وأصبح بالصبابة ليس يدري ** وأمسى بالمحبة ليس يفهمْ

فهذه قوية في الغزل لمن فهمها وتدبرها، ثم ذكر بعد ذلك أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- في نظم بديع مطبوع يحسن الوقوف عليه، وكذلك الشرح الذي سار عليه في شرحه لهذا النظم.

والشأن كما سبق بيانه أن عامة هذه الأسماء هي أوصاف للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأنها ليست من الأسماء.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في بيان أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الأحاديث، الحديث الأول، وهو حديث جبير بن مطعم أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «إني أنا محمد وأنا أحمد

وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشـر الذي حشـر الناس، وأنا العاقب الذي ليس بعد نبي» ثم قال صحيح متفق عليه.

وهذا اللفظ الذي ساقه المصنف -رحمه الله تعالى- ليس هو لفظ الشيخين، وهو أقرب إلى إحدى روايات الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه.

ثم ذكر الحديث الثاني وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-

كما جاء من حديث أبي موسى عبد الله بن قيس -رضي الله عنه- أنه قال سمّى لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: «أنا محمد وأنا أحمد وأنا المُقفّي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة» وفي رواية «ونبي الملحمة» وهي المقتلة.

صحيح رواه مسلم.

ذكر -رحمه الله- حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه وأرضاه- وفيه زيادة على ما تقدم من الأسماء المُقفّي ونبي التوبة ونبي الرحمة، فهذه ثمانية أسماء محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب، ثم المُقفّي ونبي الرحمة ونبي الملحمة، ثم ذكر اسما تاسعا أشار إليه، وأنه وقع في رواية مسلم، وهي نبي الملحمة، وهي المقتلة.

وهذه الرواية التي أشار إليها ليست في المطبوع من صحيح مسلم، فلعلها وقعت للمصنف -رحمه الله تعالى- في نسخة من نسخه، أو أنه أراد بذلك أن أصل الحديث في صحيح مسلم على ما جرت عليه عادة جماعة من الحفاظ في عزو الأحاديث إلى المصنفات الحديثية، فإنهم يعزون الحديث إلى الكتاب ويريدون بذلك أصله.

ثم ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- حديث جابر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر الذي أحشر الناس على قدمي وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، فإذا كان يوم القيامة لواء الحمد معي وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم» هذا جاء في حديث جابر، وليس في حديث جابر زيادة على ما ذكر من الأسماء السابقة في حديث جبير بن مطعم وحديث أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنهما-.

أما هذه الأسماء التي جاءت في حديث جُبير من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- «أنا أحمد ومحمد» فاسم أحمد ومحمد، من خصائصه -صلى الله عليه وسلم- لم يتسمّ بهما أحد قبله، لم يأتِ أحد قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- اسمه أحمد، ولم يأت أحد قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- اسمه محمد.

ولهذا جاء في بشارة عيسى أنه قال ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فتحققت بشارة عيسى -عليه السلام- فلم يأت أحد قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- اسمه أحمد، وأول من تسمى بأحمد بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- هو والد الخليل بن أحمد الفراهيدي على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وذكر القاضي عياض في كتاب الشفا، هذه عجيبة من العجائب.

القاضي عياض في كتاب الشفا ذكَرَ أنه لم يدّع النبوة أحد اسمه محمد، ولم تُدّع النبوة لأحد اسمه محمد، وهذا من العجائب فربنا -تبارك وتعالى- صان هذين الاسمين وجعلهما من خصائص نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

ما يتعلق بأسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- الأخرى كقوله الماحي والحاشر والعاقب فهذه جاء تفسيرها في النصوص، جاء تفسيرها في نفس النص، وجاء في الحاشر أقوال، جاء في معنى الحاشر أقوال أوصلها بعضهم إلى سبعة أقوال، ذكر ذلك القاضي والحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-.

وقوله: على قدمي ضُبطت بضبطين، فقيل على قدَمي بالإفراد وقيل على قدمَيّ بالتثنية، أي يحشر قبل الناس والناس في عقبه، واسم العاقب جاء تفسيره مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وجاء مُدرجا من قول الزهري موافقا للمرفوع عن قول النبي -صلى الله عليه وسلم-.

واسم المقفّي هو بمعنى المتبع للأنبياء قبله.

ثم ذكر -رحمه الله تعالى- أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- التي ورد في القرآن، فذكر منها البشير والنذير والرؤوف الرحيم وذكر أن من أسمائه أنه رحمة للعالمين.

وهذه الأسماء التي ذكرها هي أشبه ما تكون بالأوصاف، وقد عدها بعض أهل العلم في أسمائه -صلى الله عليه وسلم-.

بقي التنبيه على أنه قد جاء في حديث جُبير بن مطعم -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال «لي خمسة أسماء» وجاء في لفظ «إن لي خمسة أسماء» كأن هذه الرواية على سبيل الحصر، وليس الأمر كذلك، وقد اختلف أهل العلم في توجيه ذلك من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- فقيل بأن هذه أشهر الأسماء، وقيل بأن هذه الأسماء هي المشهورة في كتب من سبق من أهل الكتاب، وقيل بأن هذه الأسماء التي كانت للنبي -صلى الله عليه وسلم- أولا ثم أوحى الله تبارك وتعالى إلى نبيه بقية الأسماء.

وأسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- أعلام وأوصاف، فكل اسم من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- هو دال على الصفة، كما يقال في أسماء الله -تبارك وتعالى- وفي أسماء الآخرة وفي أسماء الجنة وأسماء النار، فهذه كلها أعلام وأوصاف.

ولابن القيم -رحمه الله تعالى- مبحثٌ بديعٌ في الهدي في أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- وما يصلح أن يكون أسما له وما هو تابع للأسماء وما هو خاصٌ به وما هو من أسماء الأنبياء يحسن الرجوع إليه والتفقه فيه.

نعم

قال -رحمه الله-:

فصلٌ: نشأته -صلى الله عليه وسلم- بمكة.

[الشيخ: هذا من كلام المُحقِّق، وإلا فإن المُصنّف قال -رحمه الله تعالى- فصلٌ، هكذا]

فصلٌ: ونشأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتيماً يكفله جده عبد المطلب، وبعده عمه أبو طالب ابن عبد المطلب، وطهره الله -عز وجل- من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كل خلق جميل حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين؛ لِما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه وطهارته.

فلما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى، فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته، فجاء وأخذ بيده وقال: هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقيل له وما علمك بذلك؟ قال إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدون إلا لنبي، وسأل أبا طالب فردَّه خوفا عليه من اليهود، ثم خرج ثانيا إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة -رضي الله عنها- في تجارة لها قبل أن يتزوجها، حتى بلغ إلى سوق بصرى فباع تجارته.

فلما بلغ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة -عليها السلام-

نعم ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل طرفا آخر من نشأة النبي -صلى الله عليه وسلم- تُلحق بما تقدم.

فبيّن -رحمه الله تعالى- أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- نشأ يتيما يكفله جده عبد المطلب إلى السنة الثامنة، كما ذكرنا في الكُلّيات في وفاة أبيه ووفاة أمه وفاة جده.

فذكر المصنف -رحمه الله تعالى- طرفا من نشأته فذكر بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نشأ يتيما يكفله جده عبد المطلب إلى أن بلغ السنة الثامنة من عمره -عليه الصلاة والسلام- ثم خلفه على كفالته عمه أبو طالب، عم النبي -صلى الله عليه وسلم- واختص أبو طالب بذلك لأنه أخ شقيق لأبيه عبد الله.

وسيذكر المصنف -رحمه الله تعالى- لاحقا أن أبا طالب اسمه عبد مناف، وقد أسند الطبراني -رحمه الله تعالى- في المعجم الكبير قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال بلّغني بنو هاشم أن أبا طالب اسمه عبد مناف، وعبد المطلب اسمه شيبة بن هاشم، وهاشم اسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي، وقصي اسمه زيد.

كما سبق التنبيه في نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الأسماء العربية التي وقعت في جر نسبه -عليه الصلاة والسلام- أنها القاب وليست من الأسماء.

وقد كان أبو طالب مدافعا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- منافحا في ذلك ومع ذلك قد مات على كفره، وقد أجمع أهل التفسير على أن قول الله -تبارك وتعالى- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] نزلت في أبي طالب.

قال -رحمه الله تعالى-:

وطهّره الله -تبارك وتعالى- من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه الله كل خُلق جميل، حتى لم يعرف بين قومه إلا بالأمين لما شهدوا من أمانته وصدق حديثه وطهارته.

ولا شك أن أعظم ما طهر الله -تبارك وتعالى- به نبيه هو تطهيره من دنس الشرك بالله -تبارك وتعالى- ولهذا صح عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- كما جاء عند الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح، أن جارا لخديجة -رضي الله تعالى عنها وأرضاها- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول «والله لا أعبد اللات، والله لا أعبد العزى» فكانت خديجة -رضي الله عنها- تقول خلّ اللات خلّ العزى.

فهذا أعظم ما طهر الله -تبارك وتعالى- به نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

ومن ذلك أيضا ما جاء في خبر بحيرا الراهب أنه حلف للنبي -صلى الله عليه وسلم- وسأله باللات والعزة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- «لا تسألنِ باللات والعُزى فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضي لهما»

قال لا تسألنِ باللات والعُزى، وكان هذا قبل البعثة، في الخبر المشهور الذي ذكره المصنف -رحمه الله تعالى-، وأشار إلى طرفه في خبر بحيرا الراهب.

وذكر المصنف -رحمه الله تعالى- فيما يُستقدم أنه قد ذكر أن من أسماء أولاد النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد العزى، وذكر أن ذلك لا يثبت وأن الله -تبارك وتعالى- أعاذه من ذلك، أعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يسمي ابنه عبد العزى.

ثم ذكر -رحمه الله تعالى- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يُعرف بين قومه بالأمين، وقد صح ذلك في خبر إعادة بناء الكعبة، وجاء في الصحيحين أنهم قالوا: ما جربنا عليك كذبا قط.

ولا يخفى أيضا خبر هرقل مع أبي سفيان في صحيح الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-.

ثم ساق المصنف -رحمه الله تعالى- خبر بحيرا الراهب، وذلك في سفر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الشام، وهذا الخبر مشهور في كتب السيرة، وقد اختلف أهل العلم فيه اختلافا كبيرا قديما وحديثا.

وأشهر سياقات هذا الخبر ما رواه ابن إسحاق في السيرة، وعنه ابن هشام والطبري في تاريخه، وفيه ذكر الراهب بحيرا.

أما السياق الذي ذكره المصنّف -رحمه الله تعالى- فليس فيه ذكر اسم الراهب.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- الراهب باسمه قبل سياق كلامه، لشهرته والعلم به، فذكر هذا الخبر ولم يذكر اسمه، وهذا الخبر في السياق الذي ذكره الترمذي -رحمه الله تعالى- في جامعه أنه صحيح في ظاهر إسناده، ولكن التحقيق أن خبر بحيرا الراهب لا يثبت.

هذه القصة المشتهرة في كتب السيرة من خبر بحيرا الراهب، كما ذكر ذلك الترمذي في جامعه لا يثبت عن نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

وظاهر إسناد الترمذي الصحة، ولذلك عوّل جماعة من أهل العلم على تصحيحها بناء على ظاهر هذا الإسناد، من طريق الفضل بن سهل، أبي العباس الأعرج البغدادي قال حدثنا عبد الرحمن بن غزوان وهو قراد أبو نوح، قال أخبرنا يونس ابن أبي إسحاق عن أبي بكر ابن أبي موسى الأشعري عن أبيه -رضي الله عنه-، وساق الخبر.

وهذا مما تفرّد به عبد الرحمن بن غزوان عن يونس ابن أبي إسحاق، ولهذا قال أبو العباس الدوري -رحمه الله تعالى-: ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح، فقد تفرد به وليس في الدنيا من يحدّث به غيره.

وفي هذا الخبر جملة من الألفاظ المنكرة أشار إليها ابن القيم -رحمه الله تعالى-، كما نقل المحقق.

من ذلك ما جاء من خبر أبي بكر وبلال، ولهذا قال الذهبي -رحمه الله- في تلخيص المستدرك: أظنه موضوعا، فبعضه باطل.

وقال أيضا وحسنه الترمذي وهو حديث منكر جدا.

ثم ذكر -رحمه الله تعالى- خبرا آخر في تجارة النبي -صلى الله عليه وسلم- لمال خديجة -رضي الله عنها- قال: ثم خرج ثانيا إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها قبل أن يتزوجها حتى بلغ إلى سوق بصرى فباع تجارته.

وهذه حادثة أخرى ساقها المصنف -رحمه الله تعالى- في خروجه -صلى الله عليه وسلم- إلى الشام.

وهذه الحادثة ساقها ابن إسحاق في سيرته وعنه ابن هشام، ومن طريقه الطبري -رحمه الله تعالى- في تاريخه دون إسناد.

وجاء اسم الراهب في هذه القصة بـ نسطور وفي ألفاظها نكارة.

ومما يستنكر في هذه القصة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- استظل تحت شجرة، فقال الراهب: إن هذه الشجرة استظل بها كل نبي مر بهذا المكان.

كيف علم الراهب بهذا وأن الذي مر نبي؟ ما عِلمُه بهذا؟

وأن غلام خديجة قال بأنه قد أظله ملكان من الشمس، فما عِلمُ غلام خديجة بأن الذي أظله من الملائكة؟

وكذلك لو كان هذا الخبر ثابتا لما حصل ذلك الخوف لنبينا -صلى الله عليه وسلم- لما جاءه الوحي، فإنه قد رجع إلى خديجة وقال «زملوني زملوني» وخديجة تقول له: والله لا يخزيك الله أبدا.

وذكرت من أوصافه وذهبت إلى ابن عمها ورَقة تسأل عما حصل للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

فلو علمت من غلامها هذا الخبر الذي ذكره الراهب لأبي طالب وما ذكره هذا الراهب لنبينا -صلى الله عليه وسلم- وما جاء في كلام الراهب أن هذا سيكون نبيا وأن أبا طالب رجع إلى قومه خوفا على نبينا -صلى الله عليه وسلم-، لو علمت خديجة -رضي الله عنها- كل ذلك عن نبينا لم يحصل لها سؤال لورقة ولما حصل للنبي -صلى الله عليه وسلم- ما حصل له من الخوف.

والذي يظهر أن كل ما ذكر من الإرهاصات قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ذلك لا يثبت إلا الشيء اليسير، وقد قال الله -تبارك وتعالى- ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦]

نعم

قال -رحمه الله-

فلما بلغ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة -عليها السلام-.

ذكر المُصنّف -رحمه الله تعالى- أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- لما بلغ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة -رضي الله تعالى عنها وأرضاها-.

ولا شك أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- تزوج خديجة أول ما تزوج، فلم يسبق لنبينا -صلى الله عليه وسلم- أن تزوج قبل خديجة -رضي الله عنها وأرضاها- وهذا بالإجماع، ولم يتزوج عليها -رضي الله عنها وأرضاها- حتى ماتت، وقد جاء الخبر بذلك صريحا في صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله عنها-.

فخديجة هي أول زوجة للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يتزوج عليها إلا بعد موتها -رضي الله عنها وأرضاها-.

ولا شك أن سن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما تزوج خديجة -رضي الله عنها- كان خمسا وعشرين سنة، إلا خلافا يسيرا يُحكى عن الزهري وغيره، وإلا فإن الإجماع قد انعقد على ان النبي -صلى الله عليه وسلم- لما بلغ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة -رضي الله تعالى عنها وأرضاها-

وقد كان عمر خديجة -رضي الله عنها- حين تزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- بها أربعين سنة على المشهور من أقوال أهل العلم، وهو الثابت عند العامة كما ذكر البلاذري -رحمه الله تعالى-، ويؤكد ذلك وصف عائشة -رضي الله عنها- لخديجة كما علقه البخاري -رحمه الله تعالى- مجزوما به وهو عند مسلم وعند أحمد في المسند أنها لما وَصَفت خديجة وكانت تغار -رضي الله عنها- قالت: عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين.

تريد أن أسنانها قد وقعت ولم يبق منها إلا حمرة اللثة، هذا كناية على أنها قد بلغت من الكبر ما بلغت، وهذا يرد على من قال بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- تزوج خديجة في آخر العشرين.

ولا يشكل على ذلك أن أولاد النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم من خديجة ومن مارية كما سيأتي، خمسة منهم أو ستة منهم من خديجة -رضي الله عنها-، وقد أنجبت في هذا السن وهذا لا إشكال فيه، فأم أيمن أنجبت أسامة بن زيد بن حارثة وهي في سن الخمسين تقريبا، وهذا معروف لا إشكال فيه.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: تزوج خديجة -عليها السلام- هكذا قال، عليها السلام، ومعروف كلام أهل العلم فيه التسليم على غير الأنبياء، ذكر ذلك ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، وذكره جماعة من أهل العلم كالحافظ ابن كثير، وعقد فيه ابن القيم فصلا بديعا في كتاب جلاء الأفهام.

والمستقر الذي استقر عليه أهل العلم أن التسليم للأنبياء وأن الترضي للصحابة وأن الترحم على غيرهم من العلماء ومن سار على دربهم.

هنا فائدة، جاء في صحيح مسلم -عن عائشة -رضي الله عنها- أن صداق النبي -صلى الله عليه وسلم- لزوجاته كان ثنتي عشرة أوقية ونَشّا، والنشّ نصف أوقية، فتلك خمسمائة درهم، صداق النبي -صلى الله عليه وسلم- لزوجاته.

ووزن الدرهم بالجرامات اثنان فاصل تسعمائة وخمسة وسبعين هذا وزن الدرهم.

ومنه يُعلم أن قيمة مهر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- باختلاف سعر الجرام الفضة في كل زمن، فإن سعر الجرام الفضة يختلف من زمن إلى زمن، يكون بحاصل ضرب اثنين فاصل تسعمائة وخمسة وسبعين في خمسمائة، فيكون المجموع ألفا وأربعمائة وسبعة وثمانين فاصل خمسة، نضربه في سعر الجرام فيكون ذلك قيمة مهر النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي جعله صداقا لأزواجه -رضي الله عنهن-.

نعم

قال -رحمه الله-:

فلما بلغ أربعين سنة اختصه الله بكرامته وابتعثه برسالته، أتاه جبريل -عليه السلام- وهو بغار حراء، جبل بمكة.

بُعث النبي -صلى الله عليه وسلم- في سن الأربعين، وهذا أكمل ما يكون عليه الرجال، وهذا محل اتفاق بين أهل العلم، حكى الاتفاق عليه جماعة كأبي المظفر السمعاني -رحمه الله تعالى- في آخرين.

وقال النووي: هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء.

وقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه أُنزل على نبينا -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن أربعين.

وما جاء عن ابن عباس خلاف ذلك كما في المسند وغيره أنه أنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- هو ابن ثلاث وأربعين هذا شاذ كما قال النووي أبو زكريا -رحمه الله تعالى- في شرح مسلم، وكذا الحافظ أحمد بن علي بن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح، وإن قال به جماعة من أهل العلم ممن دوّن في السيرة.

ولعل خلاف هؤلاء العلماء جعل بعض العلماء لا يحكي الإجماع في السن الذي بُعث فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنما يجعل ذلك قولا لجمهور أهل العلم كما قال الحافظ العيني، والصحيح من أقوال أهل العلم كما قال الحافظ ابن عبد البر.

وهنا مسألة.

إذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد بُعث في الأربعين، على رأس الأربعين، ففي أي شهر وفي أي يوم حصل ذلك؟

هذا مشكل حقيقة يعني، مثل ما استشكلتموه أنتم، كُلٌّ ذكر قولا.

فقد ذكر جماعة من أهل العلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بُعث في رمضان، وقال الحافظ ابن كثير: بلا خلاف.

وهذا مشكل، لأنه لو قلنا بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بُعِث في رمضان كم يكون عمره؟ أربعين سنة وستة أشهر، ولهذا جزم الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- أن عمر النبي -صلى الله عليه وسلم- لما بُعِث كان أربعين سنة وستة أشهر، لأن البعثة تعرف بماذا؟ بنزول القرآن عليه، وربنا -تبارك وتعالى- يقول: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ولهذا ابن كثير حكى بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بُعث في رمضان بلا خلاف، كما جاء في البداية والنهاية.

وقد صحح الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- في الصحيحة حديث واثلة بن الأسقع في المسند مرفوعا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت منه»

والنبي -صلى الله عليه وسلم- إنما نُبئ بالقرآن، فيكون هذا ابتداء بعثته -صلى الله عليه وسلم-.

هذا القول ذكره جماعة من أهل العلم كما قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-، وهو المشـهور عند الجمهور كما قال الحافظ -رحمه الله تعالى-.

وهناك قول آخر بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بُعث على رأس الأربعين فعلا، فيكون ذلك في شهر ربيع الأول، فاكتمل للنبي -صلى الله عليه وسلم- حين بعثته أربعون سنة.

ثم اختلفوا، فقيل لثمان مضين منه، وقيل في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ونسب ابن القيم هذا القول للأكثرين، إلا أن الصالحي في سبل الهدى والرشاد وهّم ابن القيم في هذا القول، وقال بأن ابن القيم -رحمه الله تعالى- عكَس فجعل قول الأكثرين الذي هو في رمضان جعله لقول من قال بأنه بُعث فيه ربيع الأول.

وقد قال العراقي -رحمه الله تعالى-:

في يوم الاثنين وكان قد خلتْ ** من شهر مولدٍ ثمانٌ إن ثبَتْ

والمناوي -رحمه الله تعالى- في شرحه للألفية قال أن لذلك من دليل يدل على ثبوته.

الشاهد أن هذا من المسائل التي هي محل نظر وتحتاج إلى زيادة تأمل، وقد جمع بعض أهل العلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أول ما ابتدئ به الرؤيا الصالحة فكانت تقع كما يقع الفجر، وأن هذا يقع حقيقة، وأنه من جملة الوحي الذي كان يوحى به إلى نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

حديث الوحي في المنام هذا ثابت في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها وأرضاها-.

فابتداء الوحي يكون في شهر ربيع الأول ويكون مناما، أما الوحي الذي في اليقظة فكان بنزول القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- في شهر رمضان كما جزم بذلك جماعة من أهل العلم، من أشهر المتأخرين منهم شيخنا الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى-، والله أعلم بالصواب.

نعم

قال -رحمه الله-:

فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة، وقيل عشرة، والصحيح الأول.

لا شك أن الصحيح الأول.

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، لما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: أقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، وبالمدينة عشرا، ومات وهو ابن ثلاث وستين.

لكن لو قال قائل: قد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس، من حديث أنس -رضي الله عنه-، وفي البخاري من حديث ابن عباس وعائشة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مكث في مكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة مثل ذلك.

فكيف يكون الجواب؟

أن عادة العرب عادة العرب أنها تجبر الكسر، وأنها ربما حذفت الكسر.

فيقولون لثلاث عشرة يقولون عشرة، وربما قالوا خمس عشرة وربما قالوا للست عشرة عشرين، وهكذا، فإن هذا ثابت من فعل العرب، أنهم يجبرون الكسور.

نعم

قال -رحمه الله-:

وكان يصلي إلى بيت المقدس مدة إقامته بمكة، ولا يستدبر الكعبة، ويجعلها بين يديه.

نعم النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي إلى بيت المقدس مدة إقامته بمكة، وذلك بعد أن فرض الله عليه الصلاة ليلة الإسراء والمعراج، وقد كان ذلك قبل الهجرة بسنة ونصف تقريبا، وقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح أقوالا أخرى ثم وجّهها.

قال ولا يستدبر الكعبة، ويجعلها بين يديه يعني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بين يديه فيستقبل الكعبة ويستقبل بيت المقدس، ولا يستدبر الكعبة فيجعلها خلفه.

هل هذا يثبت؟

هذا ليس عليه دليل صريح ثابت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يفعل ذلك، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما ثبت عنه قبل أن يؤمر باستقبال الكعبة بعد الهجرة أنه كان يستقبل بيت المقدس، هذا القدر ثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد جاء في نسخة من نسخ المختصر لعبد الغني المقدسي في كلام بعض المحققين، أن الحاكم أبا عبد الله في كتاب المستدرك أسند ذلك، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يستقبل الكعبة ويستقبل بيت المقدس، وذكر أن الحافظ ابن حجر ذكره في الفتح وسكت عليه، وأن ذلك حسن عنده، وهذا من الوهم، فإنه لا يوجد في المستدرك في هذا الموضع ولا في فتح الباري في هذا الموضع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يجعل الكعبة بين يديه، وهذا من انتقال النظر، فإن الذي نقله الحافظ ابن حجر في الفتح عن الحاكم في المستدرك هو ما جاء في نَسخ القبلة، وإن هذا من الوهم الذي وقع بهذا المحقق.

نعم

وصلى إلى بيت المقدس أيضا بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا.

هكذا قال المُصنف، على الشك، قال: صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى بيت المقدس أيضا بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا، وهذا الشك ورد هكذا في الصحيحين من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه وأرضاه-، ثم تحولت القبلة إلى الكعبة في منتصف رجب من السنة الثانية من الهجرة، تحول استقبال القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في منتصف رجب من السنة الثانية من الهجرة كما جزم بذلك الجمهور فيما نقل عنهم الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح.

وروى الحاكم ذلك بإسناد صحيح عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، وكان ذلك في صلاة العصر كما هو مشهور في قصة تحويل القبلة.

نعم

قال -رحمه الله-:

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رضي الله عنه-، ومولى أبي بكر عامر بن فُهيرة، ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي وهو كافر ولم يُعرف له إسلام.

نعم ذكر -رحمه الله تعالى- في هذا هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر فيه هجرة هؤلاء الثلاثة على الوصف الذي ذكره، وهو أن أبا بكر ومولاه كانا على الإسلام، وأن دليله عبد الله ابن الأريقط الليثي وهو خرّيتهم ودليلهم في هذه الرحلة وهذه الهجرة كان كافرا ولم يعرف له إسلام.

إلا ما ذكره الذهبي -رحمه الله تعالى- في تجريد أسماء الصحابة كما نقل المحقق -رحمه الله تعالى-.

ولكن قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: لم أرَ من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد، وقد جزم به عبد الغني المقدسي في السيرة أنه ليس من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه لم يُعرف له إسلام، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء، قال النووي في التهذيب: ودليلهم عبد الله ابن الأريقط الليثي وهو كافر ولا يُعرف له إسلام.

وفي طريق الهجرة حدثت أحداث معروفة ليس هذا مجال ذكرها، والنظر فيها في الكتب المبسوطة في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، منها ما يثبت ومنها ما لا يثبت.

نعم

قال -رحمه الله-:

وأقام بالمدينة عشر سنين.

هذا محل إجماع، أنه أقام بالمدينة عشر سنين حكى الإجماع غير واحد، كابن بطّال وابن حزم وابن عبد البر والنووي وغيرهم، وقد تقدم في حديث أنس وعائشة وابن عباس وغيرهم في الصحيحين ما يدل على ذلك.

نعم

وتوفي وهو ابن ثلاث وستين، وقيل خمس وستين، وقيل ستين، والأول أصح.

لا شك أن الأول أصح، وقوله: وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة هذا الثابت عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- في الصحيحين، وعن أنس وعن معاوية -رضي الله عنهما- في صحيح مسلم، وزاد معاوية -رضي الله عنه-: وأبو بكر وعمر كذلك.

فأبو بكر وعمر توفيا في سن النبي -صلى الله عليه وسلم- في سن الثالثة والستين.

وعلى هذا جمهور نقلة السيرة النبوية، أثبته ابن سعد وصححه ابن عبد البر وشهره أبو القاسم ابن عساكر، وقطع به جماعة من المحققين كما قال الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى-.

قال: وقيل خمس وستين سنة، وهذا ثابت عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- عند مسلم في صحيحه.

والأول أصح، فالأول عنه وأنه توفي ابن ثلاث وستين هذا في الصحيحين، ولهذا أعرض البخاري -رحمه الله تعالى- عن هذه الرواية.

قال: وقيل ستين، وهذا ثابت عن أنس بني مالك -رضي الله عنه- في الصحيحين، وقد سبقت الإشارة إلى أن الرواية الأخرى عنه في صحيح مسلم وأنه توفي في الثالثة والستين، ثم قال: والأول أصح.

ولا شك أن الأول أصح، وقد ذكر الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- في كتابه سير أعلام النبلاء نقلا عن الحاكم في الإكليل والنووي اتفاق العلماء على أن أصح الروايات ثلاث وستون سنة.

قال: وتأولوا الباقي على ذلك، فرواية ستين اقتصروا على ما هو معروف من حذف الكسر عند العرب، وقد أنكر عروة على ابن عباس قوله أنه توفي -صلى الله عليه وسلم- هو ابن خمس وستين ونسبه للغلط وأنه لم يدرك أول النبوة بخلاف الباقين.

وأكثر الروايات عن ابن عباس -رضي الله عنهما- على أنه توفي في الثالثة والستين كما ذكر الذهبي -رحمه الله تعالى-.

نعم

قال -رحمه الله-:

وتوفي -صلى الله عليه وسلم- يوم الاثنين حين اشتد الضحى، لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل لليلتين خلتا منه، وقيل لاستهلال شهر ربيع الأول.

ودُفن ليلة الأربعاء، وقيل ليلة الثلاثاء.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- هنا ما يتعلق بوفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، والمقطوع به في وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن يوم وفاته -صلى الله عليه وسلم- كان يوم الاثنين، وقد ثبت ذلك في الصحيحين صريحا عن عائشة وعن أنس، وقد حكى الإجماع عليه جماعة من أهل العلم كالطبري والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من أهل العلم، فهذا أمر مقطوع به أن وفاته كانت يوم الاثنين.

الأمر الثاني أن الشهر الذي تُوفي فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في شهر ربيع الأول، صح بذلك الخبر عن ابن عباس وعن عائشة وعن جابر -رضي الله عنهم-، وحكى الإجماع على ذلك جماعة كالسهيلي والقرطبي والنووي وغيرهم، فهذان أمران مقطوع بهما.

الأمر الثالث: أن العام الذي توفي فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- هو العام الحادي عشر، قال شيخ الإسلام: باتفاق الناس.

واختُلف فيما عدا ذلك، ومنها ما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- فقد ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أن نبينا توفي حين اشتد الضحى، فذكر أن ساعة موته -عليه الصلاة والسلام- حين اشتد الضحى، أكثر أهل التاريخ على أن وفاته -صلى الله عليه وسلم- كانت في هذا الوقت، وقيل غير ذلك.

فقد جاء في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- توفي في آخر النهار، وجاء أنه توفي في يومه.

ثم تُؤولت الروايات التي قالت بأنه قد توفي في آخر النهار وقيل بأن اشتداد الضحى هو أول الزوال وأول الزوال هو أول آخره، هو أول آخر النهار، على أقوال في ذلك يرجع في بسطها للمطولات.

قال: لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل لليلتين خلتا منه، وقيل لاستهلال شهر ربيع الأول.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذه الفقرة الخلاف في تاريخ اليوم من شهر ربيع الأول، فذكر ثلاثة أقوال:

ذكر بأنه قد توفي لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

وذكر أنه توفي لليلتين خلتا منه.

وقيل لاستهلال شهر ربيع الأول.

وأشــهرها القول الأول، وهو الذي صــح عن ابن عباس وعن جابر -رضــي الله عنهما- وهو أصــل في هذا الباب، كما جاء عند ابن أبي شيبة وعند الجورقاني في الأباطيل والصحاح.

وقد تقدم مرارا، وهذا عليه المعول في كثير من أحداث السيرة.

قال -رحمه الله تعالى-:

ودفن -عليه الصلاة والسلام- ليلة الأربعاء، وقيل ليلة الثلاثاء.

ذكر -رحمه الله تعالى- الوقت الذي دُفن فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فذكر هذين الوقتين، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دفن ليلة الأربعاء وقيل ليلة الثلاثاء، وأشهرها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تُوفي يوم الاثنين -صلوات الله وسلامه عليه- ودفن يوم الأربعاء.

وهذا هو المشــهور عند العلماء، نصّ عليه غير واحد من الأئمة ســلفا وخلفا، كما ذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-.

وقد ثبت بإسناد حسن عن عائشة -رضي الله عنها- أن نبينا دفن يوم الأربعاء، عند أحمد وغيره.

وحاصل خلاف أهل العلم في الوقت الذي دفن فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه إما أن يكون قد دفن يوم الثلاثاء أو ليلة الأربعاء أو يوم الأربعاء، هذا حاصل الأقوال، ولهذا ما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- هنا من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دفن ليلة الثلاثاء، أي يوم الاثنين بعد غروب الشمس هذا لم أقف على قائل له، إلا ما ذكره الحاكم من غير نسبة، لبعض أهل العلم قال بأنه قد دفن في هذا الوقت.

وإلا فإن المشهور من أقوال أهل العلم، وحاصل الخلاف الذي حصل بينهم في وقت دفن النبي -صلى الله عليه وسلم- هي الأقوال الثلاثة.

الحاكم أبو عبد الله اختار قولا آخر في زمن دفن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: يوم الاثنين، قال: وهذا هو الثابت والمحفوظ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دُفن في ساعته.

ومعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يُدفن في ساعته وإنما دفن يوم الأربعاء، كما صح بذلك الخبر عن عائشة -رضي الله عنها-.

ثم قال -رحمه الله تعالى-:

وكانت مدة علته اثنى عشر يوما، وقيل أربعة عشر يوما.

هذان قولان ذكرهما المصنف، والعجيب أنه أغفل القول الصحيح في ذلك، وإن الصحيح في مدة علة النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه بقي مريضا ثلاثة عشر يوما، على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهذا الذي عليه الأكثر كما قال الحافظان العراقي وابن كثير.

وقد جاء في ذلك آثار في ثبوتها كلام.

وأما القولان اللذان ذكرهما المصنف فلم أقف على ما يدل على ذلك من الآثار من أقوال السلف -رحمهم الله تعالى-.

نعم

قال -رحمه الله-:

وغسله علي بن أبي طالب وعمه العباس، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأسامة بن زيد وشقران مَولَياه، وحضرهم أوس بن خولي الأنصاري.

وكُفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية، من ثياب سحول، بلدة باليمن، ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلّى عليه المسلمون أفذاذا، لم يؤمّهم عليه أحد.

نعم، نقف هنا نرتاح قليلاً ونتوضأ، ونلتقي بعد صلاة المغرب إن شاء الله.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم عن نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين وللمشاهدين ولجميع المسلمين.

قال -رحمه الله تعالى-:

وغسّـله علي بن أبي طالب، وعمه العباس، والفضـل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأسـامة بن زيد وشـقران مَولَياه، وحضـرهم أوس بن خولي الأنصاري، وكُفّن في ثلاثة أثواب بيض سَحولية من ثياب سَحول -بلدة باليمن- ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلّى عليه المسلمون أفذاذا لم يؤمّهم عليه أحد.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل تغسيل النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته، ولا شك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- غُسّل بعد وفاته وقبل أن يُدفن -صلوات ربي وسلامه عليه-، وهذا لا خلاف فيه، كما حكى الإجماع على ذلك القاضي عياض وغيره من أهل العلم.

ولم يختلف العلماء أيضاً النبي -صلى الله عليه وسلم- غُسّل في قميصه فلم يُجرَّد من ثيابه -عليه الصلاة والسلام- حكى الإجماع عليه جماعة، منهم الحافظ أبو عمر ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-، فكان يُصب الماء على النبي -صلى الله عليه وسلم- صبا من فوق القميص، وقد صح ذلك عن عائشة -رضي الله عنها- عند أحمد وبعض أصحاب السنن، صحح ذلك جماعة من أهل العلم كالذهبي والحافظ ابن حجر، وجماعة ممن تأخر من المعاصرين من أهل العلم كالشيخ الألباني والوادعي -رحمه الله جميعا-.

وقد قالت عائشة -رضي الله عنها- لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما غَسّله إلا أزواجه -رضوان الله عليهن-.

ثم ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- من تولّى تغسيله -صلى الله عليه وسلم-، وقد ذكرهم مجتمعين ابن عباس -رضي الله عنهما- عند أحمد والطبري والطبراني، وذكر مهمة كل واحد ممن غسل النبي -صلى الله عليه وسلم- وشارك في ذلك.

فذكر ما كان يفعله علي وما كان يفعله عمه العباس والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران -وهو صالح- كما جاء التصريح به عند هؤلاء عند أحمد والطبري والطبراني.

وذُكِرَ أنَّ أوس بن خولي وقيل في ضبطه إنه أوس بن خَوْلي، وقيل بفتح الخاء والواو وتشديد اللام فهو خَوْلي وخَوَلي الأنصاري -رضي الله عنه-، وأنه كان حاضرا، وجاء في بعض الروايات أنه كان يجلب الماء وأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يتولون تغسيله.

قال -رحمه الله تعالى- وكُفن في ثلاثة أثواب بيض سَحولية.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل ما يتعلق بما جاء وثبت بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعد تغسيله -عليه الصلاة والسلام-، وهو تكفينه والصلاة عليه.

فذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كُفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية، من ثياب سحول -بلدة باليمن- ليس فيها قميص ولا عمامة، وقد أخرج ذلك أصحاب الكتب الستة عن عائشة -رضي الله عنها-.

وجاء في لفظ في الصحيحين عنها -رضي الله عنها- أنها قالت: ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية من كُرفُس، والكُرفُس هو القطن.

وقولها -رضي الله عنها- ليس فيها قميص ولا عمامة أي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يُكَفّن إلا في هذه الأثواب الثلاثة.

وليس قولها ليس فيها قميص ولا عمامة أن القميص والعمامة غير هذه الثلاث، بل إنه لم يكفّن -عليه الصلاة والسلام- إلا في هذه الثياب الثلاثة البيض السحولية، كذا فسرها الشافعي وتبعه على ذلك جمهور العلماء كما قال أبو زكريا النووي وابن الملقّن والزرقاني وغيرهم.

والحجة في ذلك منطوق حديث عائشة في الصحيحين أنه ليس فيها قميص ولا عمامة، وهذا صريح في نفي ما عدا هذه الأثواب البيض السحولية.

ثم ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد غسله وتكفينه فقال -رحمه الله تعالى-: وصلى عليه المسلمون أفذاذا لم يؤمّهم عليه أحد.

الصحابة -رضي الله عنهم- صلوا عليه أفذاذا، يدخل الرجل فيصلي عليه ويدخل الجماعة فيصلون عليه أفذاذا، ولم يؤمهم أحد، وهذا أمر حُكي الإجماع عليه، حكاه جماعة من أهل العلم كابن كثير وابن عبد البر، ونقله عنه ابن الملقن وابن حجر والصالحي.

وقد ذكر الصالحي أنه قد وافق أبا عمر جماعة من أهل العلم على حكاية الإجماع.

وذكر الصالحي أيضا أنه لم يُنقل في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه قد أمّ أحدٌ أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة عليه.

فالثابت المتيقن الذي حُكي عليه الإجماع ولم يرد في شيء من الآثار أن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- صلوا أفذاذا.

وقد قيل في علّة ذلك عدة أقوال، من أظهرها ما ذكره الشافعي -رحمه الله تعالى- أن هذا من تعظيم قدر النبي -صلى الله عليه وسلم- بتكثير من يصلي عليه.

فإذا صلى الصحابة -رضي الله عنهم- أفذاذا يدخلُ الرجل فيصلي عليه ويدخل الرجلان فيصليان عليه ويدخل الجماعة فيصلون عليه فهذا من تعظيم قدره وتكثير من يصلي عليه -صلوات ربي وسلامه عليه-.

والعلة الثانية التي ذكرها الشافعي واستحسنها جمع من أهل العلم أن هذا من إيثار أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا الشرف بالصلاة عليه، فلم يقبلوا أن يصلي بهم أحد على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن شرف الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- تحصل للجميع.

وقيل في علة صلاة أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عليه أفذاذا عدة أقوال، من أضعفها وأبعدها أنه لم يكن لهم إمام، وهذا لا شك أنه بعيد ضعيف جدا، استنكره جماعة من الحفاظ كالحافظ ابن كثير وغيره من الأئمة، وذلك أن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- قد وقعت بعد السقيفة وبعد بيعة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه وأرضاه-.

نعم

قال -رحمه الله-:

وفُرش تحته قطيفة حمراء كان يتغطى بها، ودخل قبره العباس وعلي والفضل وقُثَم وشُقران، وأُطبق عليه تسع لَبِنات، ودُفن في الموضع الذي توفاه الله فيه، حُوّل فراشه وحُفر له وأُلحِدَ في بيته الذي كان بيت عائشة، ثم دُفن معه أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-.

ذكر -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل بعض ما يتعلق بدفن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبعض ما ورد في صفة قبره -عليه الصلاة والسلام- ومن دُفن معه من أصحابه -رضي الله عنهم أجمعين-.

قال -رحمه الله-: وفرش تحته قطيفة حمراء كان يتغطى بها.

قد جاء في نسخة من نسخ الكتاب الخطية أنها قطيفة حمراء نجرانية، وما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- هنا من فرش هذه القطيفة الحمراء ثابت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، ووضع هذه القطيفة عدّهُ جماعة من العلماء من خصائص النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما صنع السيوطي -رحمه الله تعالى- في الخصائص الكبرى، وأن ذلك خاص بالنبي -صلى الله عليه وسلم- دون غيره، ولهذا كره جمهور أهل العلم أن توضع مثل هذه القطيفة في قبر الميت، كما ذكر ذلك النووي -رحمه الله تعالى- في المجموع.

وابن حزم -رحمه الله تعالى- انتصر للجواز انتصارا كبيرا، وأن هذا جائز وقد حصل هذا بمحضر جماعة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم ينكروا ذلك.

وقوله -رحمه الله تعالى- أنه فُرش له جاء عند الترمذي بإسناد صحيح، أن شقران -وهو صالح- حدّث أنه هو الذي فرش ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأقسم على ذلك.

قال: ودخل قبره العباس وعلي والفضل وقُثَم وشقران.

وعليه فجُلّ الذين غسلوا النبي -صلى الله عليه وسلم- دخلوا معه في قبره فألحدوه فيه إلحاداً.

وقد اختلفوا في صفة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- هل يلحدون له إلحاداً أم أنهم يشقون له شقاً، وكلا الطريقتين كان معروفاً في مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وجاء في المسند وعند ابن ماجة أن الذي لَحد لقبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري وكان ممن يَلحد في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أهل المدينة.

قال: وأُطبق عليه تسع لَبِنات.

هذا هو المشهور في كتب السيرة وغيرها، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نُصب اللبِن في قبره وهذا محل اتفاق، باتفاق أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، ما قال النووي -رحمه الله تعالى-.

وأما العدد فهذا هو المشهور المنقول كما ذكر النووي.

ولا يوجد شيء مُسند من ذلك يعوّل عليه في هذا الموضع.

قَالَ: وَدُفِنَ فِي الْمُوضِعِ الذي تَوَفَّاهُ اللَّهُ -عز وجل- فِيهِ، حُوّل فِراشه، وَحُفِرَ لَهُ.

وهذا لا خلاف فيه، فإنه -صلى الله عليه وسلم- دُفن في الموضع الذي توفي فيه -صلى الله عليه وسلم-، وذلك في بيت عائشة وهذا باتفاق أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كما هو معلوم، وهو ثابتٌ بالتواتر كما قال جماعة من أهل العلم.

وذلك لعلّتين:

لِما جاء في المسند وفي جامع الترمذي «أن الله -عز وجل- إذا أحب أن يقبض روح نبي من أنبيائه قبض روحه في الموضع الذي يريد أن يُدفن فيه»

فالله -عز وجل- يأمر بقبض روح نبيه في الموضع الذي يريد أن يدفن فيه.

والعلة الثانية ما أفصحت به عائشة -رضي الله تعالى عنها وأرضاها- من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في مرضه الذي تُوفي فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ولولا ذلك لأبرزَ قبرُه، ولكن خُشيَ أن يتخذ مسجدا.

جاءت الرواية عند البخاري وغيره خُشيَ وخَشيَ، والمعنى أن ذلك كان من خشية النبي -صلى الله عليه وسلم- أو من خشية أصحابه، والضبطان صحيحان كما قال النووي -رحمه الله تعالى-.

والله -عز وجل- قد استجاب دعاءه وأحاطه بثلاثة الجُدرانِ كما ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في الكافية الشافية.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: ثم دُفن معه أبو بكر وعمر.

وهذا محل إجماع بين أهل العلم وهو أمر واقع مشـــاهد لا ينكره أحد، ومن لطيف ما ذكره الإمام ابن قدامة -رحمه الله- في كتابه الماتع منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، في فضل أبي بكر وعمر أن هذه الفضيلة لم تثبت إلا لأبي بكر وعمر، لم تثبت لأحد قبلهما ولا لأحد بعدهما.

ثم ساق -رحمه الله تعالى- جملة من الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كحديث أبي سعيد وأبي هريرة وأبي الدرداء وابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- «أن الرجل يُدفن في التُربة التي خُلِق منها».

وهذا الحديث قد حسّنه بمجموع طرقه الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-، جاء من حديث جماعة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، من حديث أبي سعيد ومن حديث أبي هريرة وأبي الدرداء وابن عمر، وقد مُر بجنازة على النبي -صلى الله عليه وسلم- فسأل عنها فقيل هذا رجل من الحبشة، فقال -عليه الصلاة والسلام- «سبحان من ساقه إلى التُربة التي خُلق منها» أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-.

والحديث كما ذكر الشيخ بأنه يرتقي لدرجة الحسن.

فهذه فضيلة ثابتة لأبي بكر وعمر وأنهما قد خلق من الطينة التي خُلق منها نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

وقد نقل عن أبي عاصم النبيل -رحمه الله تعالى- أنه فتّش فلم يجد فضيلة لأبي بكر وعمر مثل هذه الفضيلة، أن يدفنا في التُربة التي دُفن فيها نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

وابن قدامة في كتابه هذا منهاج القاصدين -وهو كتاب مغفول عنه بين طلبة العلم- له تعليقات حسنة بديعة متينة علق بها على ما ورد من الأحاديث في فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وكذلك الإمام أحمد في كتابه فضائل الصحابة له تعليقات، وله نِكات يَحسن بطالب علم أن يلتقطها.

مما يحضرني في هذا المقام لما ذكر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهبا ما بلغ مُد أحدهم ولا نَصيفه».

ذكر -رحمه الله تعالى- علة قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذا الحديث وأن خالدا -رضي الله عنه- سبّ أحد أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال -عليه الصلاة والسلام- هذا الحديث «لا تسبوا أصحابي»

وحتى لا يقع في نفس القارئ شيء من خالد -رضي الله عنه- ساق بعده مباشرة حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أن خالدا سيف من سيوف الله.

فكأنه أشار إلى أن هذا الذي وقع بين خالد وغيره من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- مما يقع بين البشر، وأن قوله «لا تسبوا أصحابي» يشمل أيضا خالدا، وأن خالدا ممن يحرُم سبُّه، وأنه من جملة أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- الذين ورد فيهم هذا الحديث.

نعم

قال -رحمه الله-:

فصلٌ في أولاده.

وله -صلى الله عليه وسلم- من البنين ثلاثة، القاسم وبه كان يُكنى، وُلد بمكة قبل النبوة، ومات بها وهو ابن سنتين، وقال قتادة: عاش حتى مشى.

وعبد الله، ويسمّى الطيب والطاهر؛ لأنه ولد في الإسلام.

وقيل إن الطاهر والطيب غيره، والصحيح الأول.

وإبراهيم -عليه السلام- وُلد بالمدينة ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرا، أو ثمانية عشر.

وقيل كان له ابن يقال له عبد العزى، وقد طهره الله -عز وجل- من ذلك وأعاذه منه.

نعم ذكر -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل أولاد النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ولا شك أن معرفة أولاد النبي -صلى الله عليه وسلم- من جملة معرفة سيرته الكريمة الشريفة، ومعرفة الأولاد أي معرفة الذكور والإناث، فالولد يُطلق على الجنسين.

قال -رحمه الله تعالى-: وله -صلى الله عليه وسلم- من البنين ثلاثة:

القاسم، وبه كان يكنى، ولد بمكة قبل النبوة ومات بها وهو ابن سنتين، وقال قتادة عاش حتى مشى.

القاسم هذا هو بِكر أولاده -صلى الله عليه وسلم-، وهو أول من مات من أولاده، وهو من ولد خديجة -رضي الله عنها وأرضاها-.

وقوله: ومات بها وهو ابن سنتين، وقال قتادة: عاش حتى مشى.

لا تعارض بين القولين فإن ابن السنتين يمشي.

وأبعد الأقوال في ذلك ما جاء عن مجاهد أنه عاش سبع ليال، وقد خطّأه ملأ في ذلك، كما قال الصالحي في سبل الهدى والرشاد.

قال: وعبد الله، ويسمى الطيب والطاهر.

وعلل ذلك بقوله: لأنه ولد في الإسلام.

وبهذا قال الزبير بن بكار، وقيل إن الطاهر والطيب غيره والصحيح الأول، ولا شك أن الصحيح الأول، وأن الظاهر أن الطاهر والطيب أوصاف له للعلة المذكورة في كلام المُصنِّف، من قوله: لأنه ولد في الإسلام.

قال -رحمه الله تعالى-: وإبراهيم -عليه السلام-.

قال: وُلد بالمدينة ومات بها سنة عشر، وقيل إنه مات بها سنة ثمان، وهو ابن سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر.

وإبراهيم هذا من ولد مارية القبطية باتفاق أهل العلم، حكاه ابن قدامة وابن كثير وابن حجر وغيرهم من أهل العلم.

وقوله بأنه مات بها سنة عشر أو ثمان، معنى ذلك أنه لم يكمل الرضاع، وقد ثبت عند البخاري أن له مرضعا في الجنة.

قال -رحمه الله تعالى-: وقيل كان له ابن يقال له عبد العزى، وقد جاء ذلك عن عروة بن الزبير رواه عنه ابنه هشـــام، وعنه الهيثم بن عدي وهذا كذاب.

الذي روى هذا الخبر عن هشـــام بن عروة بن الزبير كذاب، كذّبه جماعة من الحفاظ كأبي داود وابن الجوزي، وقال النســـائي وأبو حاتم: متروك الحديث.

فلا التفات إلى مثل هذا.

وقد جاء الأثر عن هشام بن عروة عن أبيه بخلاف ذلك عند البخاري في التاريخ الأوسط، وأن اسمه عبد الله، وهذا المحفوظ من غير هذا الوجه، وقد أحسن المصنف -رحمه الله- حين قال: وقد طهره الله -عز وجل- من ذلك وأعاذه منه، أي أنّ الله -عزّ وجل- أعاذ نبيّه من أن يُسمّي ولدًا مُعبدًا لغير الله.

نعم

قال -رحمه الله-:

والبناتُ أربعٌ.

زينب، تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها، وأمه هالة بنت خويلد.

ولدت له عليا، مات صغيرا، وأُمامة التي حملها النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة، وبلَغَت حتى تزوجها عليّ بعد موت فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ذكر -رحمه الله تعالى- بنات النبي -صلى الله عليه وسلم-، وذكر أنهن أربع، وهذا بإجماع أهل العلم.

وكل بنات النبي -صـــلى الله عليه وســـلم- أســـلمن وهاجرن، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم كابن قدامة والقرطبي والنووي في آخرين.

وكل بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- من خديجة -رضي الله عنها-.

قال -رحمه الله تعالى-: زينب -رضي الله عنها-.

وهذه أكبر بنات النبي -صلى الله عليه وسلم-، صح ذلك عن الزهري، وصحَّ عن ابن جريج أنه سمعه من غير واحد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فأكبر بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- هي زينب، وحكى المحب الطبري ذلك بلا خلاف، وقال ابن عبد البر: لا أعلم خلافا في ذلك.

قال: تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها، وأمه هالة بنت خويلد.

ولدت له عليًا مات صغيراً، وأمامة التي حملها النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة، وبلغَت حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة، ولم تلد لعلي -رضي الله عنه-، وبقيت بعد علي وتزوجت بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث، وماتت عنده، ولم تلد له أيضا.

وزينب -رضي الله عنها- توفيت سنة ثمان من هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

نعم

قال -رحمه الله-:

وفاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، رضي الله عنها، تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له الحسن والحسين ومُحسنا، مات صغيرا، وأم كلثوم تزوجها عمر بن الخطاب، وزينب تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ورقيّة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

نعم ذكر البنت الثانية من بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحب أبنائه إليه، وهي من كُمَّل النساء، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن كُنيتها أم أبيها، لهذه العلة وهي قربها من نبينا -صلى الله عليه وسلم-، كما ذكر ذلك ابن الأثير، وذكر النووي -رحمه الله تعالى- أن ذلك قول خلائق من أهل العلم.

قال: فولدت له الحسن والحسين ومُحَسّنِا.

رُوي عن علي -رضي الله عنه- أنه سمى محسنا حربًا وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- غيّر اسمه فسماه محسنا.

وجميع نسل علي -رضي الله عنه- من الحسن والحسين، وما زال مستمرا إلى يوم الناس هذا.

نعم

قال -رحمه الله-:

ورقية بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تزوجها عثمان بن عفان فماتت عنده، ثم تزوج أم كلثوم فماتت عنده، وولدت له رقية ابناً فسماه عبد الله، وبه كان يُكنى.

ذكر -رحمه الله تعالى- البنت الثالث لنبينا -صلى الله عليه وسلم- وهي رقية بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد تزوجها عثمان بن عفان بلا خلاف بين أهل العلم، وماتت عنده بعد غزوة بدر بثلاثة أيام على ما ذكر أهل السيرة.

ثم تزوج بعدها أم كلثوم -رضي الله عنها- فماتت عنده سنة تسع للهجرة، وسمي بذلك عثمان ذا النورين، لهذا الفضل العظيم الذي حصل له أن يتزوج ثنتين من بنات النبي -صلى الله عليه وسلم-، رقية وأم كلثوم.

قال: وولدت له رقية ابنا فسمّاه عبد الله، وبه كان يُكنَى، وقد توفي صغيرا.

ثم قال -رحمه الله تعالى-:

فالبنات أربع بلا خلاف، والصحيح في البنين أنهم ثلاثة.

للخلاف المذكور في عبد العزى، وللخلاف المذكور في الطاهر والطيب، فذكر -رحمه الله تعالى- أن الصحيح في عدد البنين أنهم ثلاثة، أما البنات فهن أربع بلا خلاف بين أهل العلم.

ثم قال -رحمه الله تعالى-: وأول من وُلد له: القاسم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم، ثم في الإسلام عبد الله، ثم إبراهيم بالمدينة.

وقد جاء هذا في أثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عند ابن سعد وابن عساكر من طريق هشام بن السائب الكلبي عن أبيه وهما متروكان.

وجملة ما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- من هذا الترتيب متفق عليه بين أهل العلم، إلا ما ذكر في تقديم أم كلثوم على فاطمة وهو الأشهر، وأن أصغر بناته -صلى الله عليه وسلم- فاطمة -رضي الله عنها-.

نعم

قال -رحمه الله-.

وأولاده كلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

وكلهم مات قبله إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

نعم ذكر -رحمه الله تعالى- ان اولاد النبي -صلى الله عليه وسلم- كله من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

ومارية القبطية هي مارية بنت شمعون القبطية، أهداها المقوقس صاحب مصر للنبي -صلى الله عليه وسلم- كما سيأتي بيانه، فإن ابنها إبراهيم منها وليس من خديجة، فجميع أبناء النبي -صلى الله عليه وسلم- من خديجة إلا إبراهيم.

قال: وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة فإنها عاشت بعده -صلوات الله وسلامه عليه- عاشت بعده ستة أشهر، وقد ثبت ذلك في الصحيحين وحكى الإجماع عليه جماعة من أهل العلم منهم أبو نعيم وابن حجر العسقلاني -رحم الله الجميع-.

وخلاصة ما تقدم في أبناء النبي -صلى الله عليه وسلم- سبعة أمور:

الأمر الأول: أن جميع أولاد النبي -صلى الله عليه وسلم- من خديجة ومن مارية القبطية.

الأمر الثاني: أنهم سبعة، ستة من خديجة -رضي الله عنها- وواحد من مارية وهو إبراهيم.

الأمر الثالث: أنهم ماتوا جميعا قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا فاطمة فإنها عاشت بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- ستة أشهر.

الأمر الرابع: أن جميع الذكور ماتوا صغارا باتفاق أهل العلم.

الأمر الخامس: أن جميع بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- أسلمن وهاجرن.

الأمر السادس: أن الجميع ولد قبل البعثة إلا إبراهيم وعبد الله.

الأمر السابع: أن نسل النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذرية فاطمة من نسل الحسن والحسين فقط دون بقية الأبناء.

فهذه سبعة أمور تجمع ما يتعلق بأولاد النبي -صلى الله عليه وسلم- يحسن بطالب العلم إدراكها واستحضارها.

نعم

قال -رحمه الله-:

فصلٌ في حَجّه وعُمَره

روى همّام بن يحيى عن قتادة، قال: قلت لأنسٍ كم حجَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- مِن حج؟ قال: حجَّ واحدةً واعتمر أربع عمرات.

عمرة النبي -صلى الله عليه وسلم- حين صدَّه المشركون عن البيت، والعمرة الثانية حيث صالحوه من العام المقبل، وعمرة من الجعرّانة، حيث قسم غنيمة حُنين في ذي القعدة، وعمرته مع حجّه.

صحيح متفقٌ عليه.

هذا بعد قدومه المدينة، وأما ما حج بمكة واعتمر فلم يُحفظ، والذي حج حجة الوداع ودعا الناس فيها وقال: «عســى ألا تروني بعد عامي هذا».

ذكر -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل ما يتعلق بحج النبي -صلى الله عليه وسلم- وعُمَره -صلوات الله وسلامه عليه-.

فذكر ما يتعلق من ذلك بعد مقدم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، وما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- هنا من حج النبي -صلى الله عليه وسلم- حجةً واحدة ومن اعتماره العمر الأربع هذا هو الثابت بالنص والإجماع وقد ثبت ذلك عن ابن عمر وعن أنس -رضي الله عنهما- في الصحيحين.

وحكى الإجماع عليه جماعة من أهل العلم كالشيخ تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وغيره.

قال -رحمه الله تعالى- روى همام بن يحيى عن قتادة أنه قال: قلت لأنس بن مالك -رضي الله عنه- كم حج النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ قال حجة واحدة واعتمر أربع عُمَر.

عُمرَةُ النبي -صلى الله عليه وسلم- حين صدَّه المشركون عن البيت، وتُسمَّى هذه العُمرَة بعمرة الحُديبية، وأهلُ اليمن يُشدِّدون فيقولون الحُدَيبيّة، وأهلُ العراق يُخفِّفون فيقولون الحُدَيبيَة.

وكانت هذه العُمرَة في السنة السادسة من الهجرة.

قال: والعمرة الثانية حيث صالحوه من العام المقبل وتُسمَّى هذه العُمرَة بعمرة القضاء، أو عمرة القضية، أو عمرة القصاص، والتي نزل فيها قول الله -تبارك وتعالى- ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾ [البقرة: ١٩٤]

ثم قال -رحمه الله تعالى-: وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنيمة حنين في ذي القعدة.

وعمرته مع حجته فالصحيح من أقوال أهل العلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حجَّ قارناً في أصح قولَي العلماء، جمع في حجه بين العمرة والحج في السنة العاشرة.

قال: صحيحٌ متفق عليه.

وجميع عُمَره -عليه الصلاة والسلام- كانت في ذي القعدة، كما صح ذلك عن عائشة -رضي الله عنها- في الصحيحين، واتفق العلماء على ذلك، وأما ما جاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما- من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتمر في شهر رجب فإن هذا قد خطأته عائشة -رضي الله عنها- في ذلك، وبلغه ذلك ولم ينكر عليها.

قال: هذا بعد قدومه المدينة وأما ما حج بمكة واعتمر فلم يُحفظ.

قول المصنف -رحمه الله تعالى- أن ما حجه النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة واعتمر قبل هجرته أن ذلك لم يحفظ، هذا فيه نظر، وقد ثبت في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- واقفا بعرفة فقالوا: ما بال هذا يقفها هنا وهو من الحمس؟

واستظهر الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح أن ذلك كان قبل الإسلام، وإلا فإنه لو رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- قائما في حجة الوداع لما استنكر هذا، فاستنكاره يدل على أن هذه الحجة كانت قبل البعثة وأنها كانت في الجاهلية.

وقد جاء عند ابن ماجة -رحمه الله تعالى- بإسناد ضعيف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حج قبل البعثة حجتين، وهذا لا يثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلا أن الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في فتح الباري استظهر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حج حجات متكررة على ما كان ذلك من عادة العرب

فإن قريشاً كانوا يحجّون البيت ولا يتركون حجه، وكان هذا فخراً لهم، وكانوا في أول الناس في الحج، يقودون الناس، وأنه لم يكن منهم أحد من كبرائهم ومن أشرافهم يترك الحج إلا لعارض علة من مرض ونحو ذلك.

وكذلك استظهر الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في البداية والنهاية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حج بعد البعثة قبل الهجرة، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يعرض نفسه على القبائل في الموسم وبيعة العقبة كما هو معلوم انعقدت في مِنى.

وهنا فائدة تتعلق بحج النبي -صلى الله عليه وسلم- وهما إجماعان نقلهما شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعتمر في رمضان وهذا محل اتفاق بين اهل العلم، بل إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يخرج إلى مكة في رمضان إلا عام الفتح.

وفي قول النبي -صلى الله عليه وسلم- للمرأة التي لم تحج فأمرها أن تعتمر في شهر رمضان بحثٌ لأهل العلم ليس هذا مقام بيانه.

والأمر الثاني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعتمر بعد الحج -أي حجة الوداع- قَط، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد حجة الوداع بقي في المدينة إلى أن توفاه الله -تبارك وتعالى-.

ويضاف إلى ذلك الإجماعات السابقة، وهي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتمر أربع عُمر بعد الهجرة، وأنها كلها وقعت في ذي القعدة، وأنه حج حجة واحدة هي حجة وداع، ولم يحج بعدها مطلقا.

وهناك مسائل إجماعية تتعلق بحج النبي -صلى الله عليه وسلم- واعتماره، محلها ومحل بسطها كتب الفروع.

نعم.

قال -رحمه الله-:

فصلٌ في غزواته -صلى الله عليه وسلم-

غزا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بنفسه خمسا وعشرين غزوة، هذا هو المشهور.

كذا قال -رحمه الله تعالى- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- غزا بنفسه خمسا وعشرين غزوة، قال هذا هو المشهور ونقل ذلك عن محمد بن إسحاق المطلبي وعن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، ونقله أيضا عن موسى بن عقبة وغيرهم.

وفيما نقله المصنف -رحمه الله تعالى- نظر، فإن المنقول عن هؤلاء جميعا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة، وقد راجع المؤلف -رحمه الله تعالى- بعضُ أصحابه فاستغفر الله -تبارك وتعالى- من ذلك ورجع إلى القول المنقول عن هؤلاء، وأن ذلك سبعٌ وعشرون وليس خمسا وعشرين كما ذكر -رحمه الله تعالى-.

وأول غزوة غزاها النبي -صلى الله عليه وسلم- هي غزوة وَدّان وهي الأبواء، وآخر غزوة غزاها -عليه الصلاة والسلام- هي غزوة تبوك.

نعم

قال -رحمه الله-:

هذا هو المشهور، قاله محمد بن إسحاق وأبو معشر وموسى بن عقبة، وغيرهم، وقيل غزا سبعا وعشرين.

وهذا الثابت عن الثلاثة الذين نقل عنهم، أن الغزوات التي غزاها النبي -صلى الله عليه وسلم- سبع وعشرون وليست خمسا وعشرين كما نقل عن هؤلاء.

وهذا القول قاله ابن حزم -رحمه الله- في جوامع السيرة وانتصر له.

نعم

قال: والبعوث والسرايا خمسون أو نحوها.

البعوث والسرايا التي بعثها النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يحضُرها بنفسه قال إنها خمسون أو نحوها، على الخلاف، والمشهور ما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى-.

قال: ولم يقاتل إلا في تسع.

لم يقاتل أي أنه لم يشهدها -عليه الصلاة والسلام- مقاتلا إلا في هذه التسع، وإلا فإنه قد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لم يقاتل بنفسه إلا في أحد كما ذكر الشيخ تقي الدين -رحمه الله تعالى-.

قال: إلا في تسعٍ، بدرٍ وأُحُدٍ والخندقِ وبني قريظة والمُصطلقِ وخيبر وفتح مكة وحُنين والطائف، وقد قيل إنه قاتل بوادي القرى.

وقد قيل إنه قاتل بواد القرى، هذه كانت في السنة السابعة من الهجرة، واختلف العلماء هل قاتل النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها أم لم يقاتل.

وفي الغابة.

وفي الغابة: هذا موضع قريب من المدينة معروف بهذا الاسم إلى الآن.

وبني النضير.

والذي يظهر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يحصل له قتال في غزوة بني النضير وإنما حصل ما حصل من الحصار لتلك الليال، ثم بعد ذلك أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أجلى اليهود عن المدينة.

وكذلك ما ورد في ما قال هنا: وفي الغابة وهذه تسمى غزوة ذي قَرَد، ويظهر أيضا أنه لم يحصل هناك قتال وإنما حصلت هناك مناوشات كما هو مبسوط في كتب السيرة.

فالحاصل من ذلك ان النبي -صلى الله عليه وسلم- غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة، وأن سراياه نحو الخمسين، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقاتل إلا في تسع، وما قاتل بنفسه إلا في غزوة أحد -صلوات ربي وسلامه عليه-.

نعم

قال -رحمه الله-:

فصلٌ في كُتّابه ورسله.

ذكر المُصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل كُتّاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ورسله، وهذه الكتابة تشمل كتابة الوحي، وتشمل أيضا الكتابة التي تكون إلى الملوك وتكون إلى الأمراء وإلى الوفود وغير ذلك، وهذه مهمة عظيمة، وهي مفخرة للذين جعلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- كُتّابا بين يديه.

واختار النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذه المهمة فُضلاء أصحابه -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

ذكر المصنف بعضهم وذكر غيرهم جماعة من أهل العلم، لمهمة الكتابة ولمهمات أخرى يأتي بيانها إن شاء الله.

نعم

قال -رحمه الله-:

كتب له -صلى الله عليه وسلم- أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعامر بن فُهيرة وعبد الله بن الأرقم الزهري وأبيّ بن كعب وثابت بن قيس بن شمّاس وخالد بن سعيد بن العاص وحنظلة بن الربيع الأسدي وزيد بن ثابت ومعاوية ابن أبي سفيان وشُرَحْبيل بن حَسَنة. وكان معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك وأخصهم به.

ومما ينبّه إليه أن جماعة من أهل العلم ذكروا أن من كُتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- مَن اسمُه السجلّ، ذكروا ذلك في قول الله -تبارك وتعالى- ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

وذكروا في ذلك أثرا عن ابن عباس عند أبي داود في سننه.

وقد استغرب الحُفاظ من إخراج أبي داود لمثل هذا الأثر، وقد حكم جماعة من الحفاظ على هذا الأثر بالكذب والوضع، كتقي الدين أبي العباس ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وتلميذه المزي وتلميذه ابن القيم وابن كثير في آخرين.

نعم

قال -رحمه الله-:

وبعث رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- عَمرو بن أمية الضّمري رسولا إلى النجاشي...

هذه البعوث حصلت بعد أن دانت غالب جزيرة العرب للنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد صلح الحديبية.

إلى النجاشي واسمه أصحمة ومعناه عطية، فأخذ كتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، وأسلم وحسُن إسلامه، إلا أن إسلامه كان عند حضور جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وصح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلى عليه يوم مات.

ورُوي أنه كان لا يزال يُرى النور على قبره.

نعم ذكر هنا رُسُل النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم ذكر أولهم وأنه عمرو بن أمية الضّمري بعثه إلى النجاشي، والنجاشي هذا لقب لكل من ملَك الحبشة.

وما ذكره هنا من إسلامه محل نظر ذكر ذلك جماعة من أهل العلم كابن القيم -رحمه الله تعالى- في زاد المعاد، وقد رد ذلك أيضا أنس -رضي الله تعالى عنه- كما ثبت ذلك عنه في الصحيحين، فإن ابن القيم -رحمه الله تعالى- قال كما نقل المحقق هنا:

لما رجع -صلى الله عليه وسلم- من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل إليهم رُسله، وبعث ستّة نفر في يوم واحد، في المحرم سنة سبع، فأولهم عمرو بن أمية الضمري، بعثه إلى النجاشي فعظّم كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم أسلم، وشهد شهادة الحق، وكان من أعلم الناس بالإنجيل، وصلى عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم مات بالمدينة وهو بالحبشة، هكذا قال جماعة منهم الواقدي وغيره.

وليس كما قال هؤلاء، فإن أصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليس هو الذي كتب إليه، هذا الثاني لا يُعرف إسلامه، بخلاف الأول فإنه مات مسلما، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث قتادة عن أنس قال: كتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى.

وليس بالنجاشي الذي صلى عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإن النجاشي الذي صلى عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي حصلت عنده الهجرة الهجرة الأولى والثانية، وأما الذي كاتبه النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي كان بعد صُلح الحديبية وهذا لم يثبت إسلامه.

نعم

قال -رحمه الله-:

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دحية بن خليفة الكلبي...

ومعنى دحية في لغة أهل اليمن الرئيس، وقد ثبت في الصحيح أن جبريل كان يأتي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- متمثلا به في صورته.

إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل.

قيصر هذا لقب لكل من ملك الروم، كالنجاشي، فالنجاشي لقب لكل من ملك الحبشة.

وهل ثبت إسلام هرقل؟

أما معرفته بصحة نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذه ثابتة لا إشكال فيها، في سؤاله لأبي سفيان لما كان في الشام، هي أسئلة عظيمة تدل على معرفة تامة بأن هذا هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بلا شك.

وقد استظهر الحافظ الذهبي إسلام هرقل، قال: الظاهر أنه أسلم، ونقل ابن كثير -رحمه الله تعالى- أثرَين في ذلك مُرسلين.

الأثر الأول يدل على إسلامه، والأثر الثاني يدل على أنه لم يُسلم، فالذهبي استظهر إسلامه وأنه بقي مسلما سرا، والله أعلم بحقيقة الحال.

نعم

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، فمزّق كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- مزقّ الله ملكه، فمزّق الله ملكه ومُلك قومه.

وكسرى هذا لقب لكل من ملك فارس، واسمه في هذه الحادثة أبرويز بن هرمز، الذي بعث إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن حذافة السهمي.

وهذا أسوأ الملوك الذين راسلهم النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أسوأ الملوك هو هذا الرجل الذي مزق كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فمزق الله مُلكه وملك قومه.

وخبر التمزيق هذا جاء عند البخاري مرسلا وليس موصولا، فنتنبه لذلك.

نعم

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس مَلك الإسكندرية ومصر.

واسم أبي بلتعة: عُمر بن عُمير ابن سَلَمة.

ومعنى المقوقس: المطول في البناء، واسمه جريج بن مينا، وهذا كان من قبل هرقل، ويقال إن هرقل عزله بعد ذلك لما رآه من إكرام رسول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فقال خيرا وقارب الأمر، ولم يُسلم، فأهدى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- مارية القبطية، وأختها سيرين فوهبها لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن بن حسان.

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى للنبي -صلى الله عليه وسلم- أربعا من الجواري.

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمرو بن العاص إلى ملكَي عُمان، جيفر وعبد ابني الجُلنداء [الشيخ: وهي تُضبط بالمد والقصر، فيُقال الجُلندا والجُلنداء]

وهما من الأزد، والمَلك جيفر.

يعني أن الملك منهما جيفر وليس عبد، وأحلمُهما وأسهلُهما كما ذكر علماء السيرة هو عبد.

فأسلما وصدّقا وخلّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سليط بن عمرو العامري إلى اليمامة، إلى هُوذة بن علي الحنفي.

[الشيخ: هُوذة، الصحيح في ضبطها أنها بضمّ وسكون.]

فأكرمه وأنزله وكتب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا خطيب قومي وأشعرهم فاجعل لي بعض الأمر، فأبى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومات زمن الفتح وهذا هو المشهور من خبره.

وقد رُوي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لو سألني بلحة من الأرض ما قبلت، بادَ وبادَ ما في يديه».

نعم

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك البلقاء.

[الشيخ: البلقاء من أعمال دمشق وكانت مدينتها عمّان بالتشديد]

قال شجاع: فانتهيت إليه وهو بغوطة دمشق، فقرأ كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم رمى به وقال إنني سائر إليه، وعزم على ذلك فمنعه قيصر.

وقد مات الحارث عام الفتح، هذا الذي بعث إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- شجاع مات عام الفتح.

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المهاجر بن أبي أمية المخزومي

واسم المهاجر: الوليد، وقد غيّر النبي -صلى الله عليه وسلم- اسمه، كان اسمه الوليد فغيره النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المهاجر.

وأبو أمية هذا مشهور باسم حذيفة، وقيل سهيل وقيل هشام

نعم

إلى الحارث الحميري أحد مقاولة اليمن

وهذا لم يثبُت إسلامه.

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العلاء ابن الحضرمي

والحضرمي هذا هو عبد الله بن عباد، وكان العلاء هذا مجاب الدعوة، وله كرامات ذكر طرفا منها أبو بكر الخلال في كرامات الأولياء.

إلى المنذر ابن ساوَى العبدي، وكتب إليه كتابا يدعوه إلى الإسلام فأسلم وصدق.

وضُبط أيضا بالكسر، فهو ساوَى وساوِي، كلاهما مشهور في ضبطه.

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل الأنصاري -رضي الله عنهما- إلى جملة اليمن داعيَين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن وملوكهم طوعا من غير قتال.

نعم هذا الثابت في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعث أبا موسى أولا ثم أردفه بمعاذ، ثبت ذلك في الصحيح.

وقد بعثهم إلى أهل اليمن داعين إلى الله -تبارك وتعالى-، بعث كل واحد منهما على مخلاف، واليمن مخلافان، أي إقليمان، بعث أبا موسى على إقليم، وبعث معاذ بن جبل على إقليم.

وقال -عليه الصلاة والسلام- فيما صح عنه «يسّرا ولا تُعسّرا وبشّرا ولا تُنفّرا»

هذا جملة ما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- من بعوث النبي -صلى الله عليه وسلم- ورسله إلى الأمصار.

وذكر علماء السيرة غيرَهم ممن بعثهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأرسلهم إلى الأمصار وإلى الملوك، كما ذكروا أيضا جملة ممن بعثهم النبي -صلى الله عليه وسلم- لغير هذا العمل، كما ثبت من بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر للحج بالناس قبل أن يحج ثم أردفه بعلي -رضي الله عنه- في جملة من الأعمال التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يخص بها بعض أصحابه.

فصلٌ في أعمامه وعماته -صلى الله عليه وسلم-.

وكان له -صلى الله عليه وسلم- من العمومة أحد عشر...

اختلف العلماء في أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- كم عددهم، فقيل بأنهم تسعة وقيل بأنهم عشرة وقيل أحد عشر، على ما ذكر ذلك المصنف -رحمه الله تعالى-، وقيل اثنا عشر من العمومة.

وسبب الخلاف في ذلك أن بعض أهل العلم قد يعد الرجلين رجلا واحدا، وقد يعد بعضهم الرجل رجُلين، وقد يعد بعضهم اللقب للرجل يعده رجلا آخر، ولهذا حصل الخلاف بين أهل العلم في هذا الأمر.

والذين أدركوا الإسلام من أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- أربعة، أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس، هؤلاء الذين أدركوا الإسلام من أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم-، والذين أسلموا منهم حمزة والعباس، والذين بقوا على كفرهم أبو لهب وأبو طالب.

ومن اللطائف أن الذين بقوا على كفرهم أسماؤهم معبدة لغير الله، فأبو طالب اسمه عبد مناف وأبو لهب اسمه عبد العزى، فهذه لطيفة تُحفظ في أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم-، الذين أسلموا منهم والذين لم يسلموا.

نعم

قال -رحمه الله-:

منهم الحارث، [الشيخ: وهذا لم يدرك الإسلام] وهو أكبر ولَد عبد المطلب، وبه كان يكنى، ومن ولده وولد ولده جماعة لهم صحبة للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقُثَم، هلك صغيرا، وهو أخو الحارث لأمه.

[ومنهم من أسقطه من أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- فنقص بذلك العدد، فحصل الخلاف الذي أشرنا إليه أولا]

والزبير بن عبد المطلب، وكان من أشراف قريش، وابنه عبد الله ابن الزبير.

[ثم ذكر بعضا من أولاده من أولاد الزبير هذا]

شهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حُنين وثبت يومئذ، واستشهد بأجنادين، وروي أنه وُجد إلى جنب سبعة قد قتلهم وقتلوه.

[أجنادين، تضبط هكذا وتضبط بالكسر فيقال إجنادين، والفتح أشهر، وهي موضع في الشام، وهذه وقعة مشهورة في أيام عمر -رضي الله عنه-]

وضباعة بنت الزبير، لها صحبة.

ولها أحاديث يسيرة، ضباعة هذه لها أحاديث يسيرة كما ذكر الذهبي -رحمه الله تعالى-، وقد أخرج حديثها النسائي وابن ماجة.

وأم الحكم بنت الزبير، روت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

[ويقال أم حكيم، مما روته أنه -صلى الله عليه وسلم- دخل على ضباعة بنت الزبير فنَهَس عندها كتِفًا ثم صلى ولم يتوضأ -صلوات الله وسلامه عليه-]

وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأخوه من الرضاعة.

[وقد تقدم ذكره]

أسلم قديماً وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيداً، ولم يكن له إلا ابنة.

نعم كما قال المصنف -رحمه الله تعالى- أنه لم يثبت أن لحمزة إلا هذه البنت، وذكر جماعة من أهل السيرة أن له أولادا وأن نسله باقٍ إلى يوم الناس هذا، والله أعلم.

وأبو الفضل العباس بن عبد المطلب.

وهذا أكثر أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- نسلا، وهو الذي ينسب إليه العباسيون، فالعباسيون ينسبون للعباس بن عبد المطلب، وقد ذكر ابن الجوزي أن هناك من عدّ نسـله فوجدهم مائة ألف، ومنهم من قال بأنهم ثلاثمائة ألف، واستبعد ذلك ابن القيم -رحمه الله تعالى- في الهَدي، حين نقول الهدي نعني أي كتاب؟ زاد المعاد.

أسلم وحسُن إسلامه وهاجر إلى المدينة، وكان أكبر من النبي -صلى الله عليه وسلم- بثلاث سنين، [وقيل بسنتين وهو أصغر أبناء عبد المطلب] وكان له عشرة من الذكور، الفضل وعبد الله وقُثم لهم صحبة، ومات سنة اثنتين وثلاثين [وقيل أربع وثلاثين وقد قارب التسعين] في خلافة عثمان بن عفان في المدينة.

ولم يسلم من أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا العباس وحمزة.

وأبو طالب بن عبد المطلب واسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله.

وهذا أبو طالب الذي ذكرنا هو عبد مناف، وهو أكثر من ناصَر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد أجمع علماء التفسير على أن قول الله -تبارك وتعالى- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] نزلت في أبي طالب، وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيح أنه أخف أهل النار عذابا، وأنه في ضحضاح يلبس نعلين يغلي منهما دماغه.

قال -عليه الصلاة والسلام- «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» نسأل الله العافية.

نعم

وأبو طالب بن عبد المطلب، واسمه عبد المناف وهو أخو عبد الله أبي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأمه.

[لأمه أي أنه شقيق]

وعاتكة صاحبة الرؤيا في بدر. [وهذه يأتي ذكرها في عمات النبي -صلى الله عليه وسلم-]

وأمّهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

وله من الولد طالب مات كافرا، وعَقيل وجعفر وعلي وأم هانئ وأم طالب -رضي الله عنهم- لهم صحبة.

واسم أم هانئ فاختة، وقيل هند.

وجُمانة ذُكرت في أولاده أيضا.

[ذكرها جماعة في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-]

وأبو لهب بن عبد المطلب واسمه عبد العزى، وقد غلبت عليه كُنيته، كنّاه أبوه بذلك لحُسن وجهه.

ومن اللطائف أن السُهَيْلي -رحمه الله تعالى- ذكر أن هذه الكُنية مُناسبة لمصيره يوم القيامة، فأبوه كنّاه أبا لهب لحسن وجهه، وهي مُناسبة لحاله يوم القيامة وهو ممن قُطِع له بالنار مع زوجته أم جميل، وقد قال الله -تبارك وتعالى- ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]

نعم

ومن ولده عُتبة ومُعتب ثبتا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم حنين، وذُرة، لهم صحبة.

[رضي الله عنهم، فسبحان من يُخرج الحي من الميت]

وعتيبة قتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام على كفره بدعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-

[وسيأتي ذكر ذلك في معجزات -عليه الصلاة والسلام-]

وعبد الكعبة، وحَجَل، واسمه المغيرة.

[وقيل في ضبطه جَحْل بتقديم الجيم على الحاء وبفتح ثم سكون]

وضرار أخو العباس لأمه، والغيداق، وإنما سمي الغيداق لأنه أجود قريش.

وهذا اسمه مصعب الغيداق، وقيل نوفل، واسمه مصعب كما ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في الهدي.

هذا حاصل ما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- من أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم أحد عشر على ما سبق بيانه.

وعماته -صلى الله عليه وسلم- ست.

وهذا بلا خلاف، فعمات النبي -صلى الله عليه وسلم- ستٌ.

صفية أسلمت وهاجرت، وهي أم الزبير بن العوام، توفيت في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، وهي أخت حمزة لأمه.

وهذه هي العمة الوحيد التي أسلمت، فالذين أسلموا من أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- وعماته ثلاثة.

أسلمَ من عمومة النبيّ حمزةُ ** عبّاسُهُم وفي النّسا صفيةُ

وعاتكة بنت عبد المطلب، قيل إنها أسلمت، وهي صاحبة الرؤيا في بدر، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن عمر بن مخزوم، ولدت له عبد الله، أسلم وله صحبة، وزُهيرا وقُريبة الكبرى.

صاحبة الرؤيا أنها رأيت قريشا تصاب يوم بدر، والحادثة عند الحاكم والبيهقي في الدلائل، قيل أنها أسلمت وأكثر أهل العلم على أنها لم تسلم، عاتكة بنت عبد المطلب.

وأروى بنت عبد المطلب كانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي، فولدت له طُليب بن عمير، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرا وقتل بأجنادين شهيدا ليس له عقب.

[واختُلف في إسلامها وعدها ابن الأثير في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-]

وأميمة بنت عبد المطلب.

[وأميمة هذه ذكر الحافظ في الإصابة أنه لم يذكرها في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا ابن سعد]

كانت عند جحش بن رئاب، ولدت له عبد الله المقتول بأحد شهيدا، وأبا أحمد الأعمى الشاعر، واسمه عبد.

[اسمه عبد هكذا من غير إضافة وهو من السابقين إلى الإسلام]

وزينب زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-.

[يأتي ذكرها في زوجاته -عليه الصلاة والسلام-]

وحبيبة وحمنة كلهم لهم صحبة.

قوله -رحمه الله- وزينب وحبيبة وحمنة، هؤلاء من المهاجرات، وحمنة شـــهدت أحدا وكانت تســـقي العطشـــى وتداوي الجرحى، وهي وحبيبة وزينب كن من المستحاضات المعروفات في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وعبيد الله بن جحش أسلم ثم تنصّر، ومات بالحبشة كافرا.

وكان زوج أم حبيبة، وقد دعاها الى النصرانية فتنصّر وثبتت على إسلامها، ثم تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- كما سيأتي في ذكر زوجاته -عليه الصلاة والسلام-.

وبرّة بنت عبد المطلب

[هذه ذكر ابن قدامة أنه لم يُسمع لها في الإسلام بذكر.]

كانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فولدت له أبا سلمة واسمه عبد الله، وكان زوج أم سلمة قبل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وتزوجها بعد عبد الأسد أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس، فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم.

وأم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب، كانت عند كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد الشمس بن عبد مناف، فولدت له أروى بنت كريز وهي أم عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

فتكون أم حكيم جدته -رضي الله عنه-.

فهذا حاصـل ما ذكر المصـنف -رحمه الله تعالى- من أعمام النبي -صـلى الله عليه وسـلم- وعماته، والمقطوع بإسـلامهم ثلاثة، هم حمزة والعباس وصـفية -رضـي الله عنهم-، والعقب في أربعة منهم، العقب في أعمام النبي -صـلى الله عليه وسـلم- في أربعة منهم، في العباس وفي أبي طالب والحارث وأبي لهب.

نعم

قال -رحمه الله-:

ذكرُ أزواجه -عليه وعليهن الصلاة والسلام-.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل جملة ما يذكر من أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- اللاتي دخل بهن وهن إحدى عشرة على الصحيح، وقيل غير ذلك كما ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في الهدي واستبعده.

وأول أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- خديجة -رضي الله عنها-.

فقال -رحمه الله-:

فأول من تزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب.

[وقد كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وتكنى بأم هند، بولدها هند بن أبي هالة]

تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت ما وحتى بعثه الله -عز وجل- فكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، وهذا أصح الأقوال، وقيل قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بأربع سنين.

كما ثبت ذلك في الصـــحيحين، أنها ماتت قبل الهجرة بثلاث ســـنين، ثبت ذلك في الصـــحيحين عن عروة بن الزبير، وجزم به جماعة من المحققين كأبي عبد الله ابن القيم وابن كثير وغيرهما.

ولها فضائل كثيرة -رضي الله عنها- يكفي في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن جبريل قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- «أقرئ خديجة السلام من ربها».

ثم تزوج سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي بعد خديجة بمكة قبل الهجرة.

هذه أسلمت بمكة قديما وهي أول امرأة تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد النبوة أول امرأة تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد النبوة هي سودة -رضي الله عنها-.

وكانت قبله عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو

[وهذا أسلم وهاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة]

وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة فأمسكها.

كبرت عنده أي عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وقيل طلّقها -عليه الصلاة والسلام- ثم راجعها.

وقد ماتت -رضي الله عنها- في خلافة عمر في قول الأكثرين من أهل العلم.

وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عائشة بنت أبي بكر الصديق

وعائشة -رضي الله عنها- أسلمت بعد ثمانية عشر نفسا، كما ذكر ذلك ابن أبي خيثمة في تاريخه.

بمكة قبل الهجرة بسنتين، وقيل بثلاث سنين، وهي بنت ست سنين وقيل سبع سنين، والأول أصح، وبنى بها بعد الهجرة بالمدينة وهي بنت تسع سنين على رأس سبعة أشهر، وقيل على رأس ثمانية أشهر.

وهذا الصحيح الذي رجّحه ابن القيم -رحمه الله تعالى- أن ذلك كان في السنة الأولى من الهجرة سواء كان ذلك على رأس ثمانية أشهر على سبعة أشهر أو أقل، وليس الأمر كما ذكر جماعة كالحافظ ابن كثير أنه قد بلغ السنتين.

ومات النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع، أوصت بذلك. سنة ثمان وخمسين وقيل سنة سبع وخمسين، والأول أصح، وصلى عليها أبو هريرة، ولم يتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بِكرا غيرها.

لم يتزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- بكرا غير عائشة -رضي الله عنها-، وهذا من فضائلها وخصائصها، ثبت ذلك عند البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- حين دخل عليها في موتها فعدد فضائلها وذكر منها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يتزوج بكرًا غيرها.

نعم

وكُنيتها أم عبد الله، وروي أنها أسقطت من النبي -صلى الله عليه وسلم- سقطًا، ولم يثبت.

كما جزم بذلك المصنف والذهبي -رحمه الله تعالى- في جماعة آخرين، وكنيتها أم عبد الله، تكنت بذلك باسم ابن أختها عبد الله بن الزبير بن العوام -رضي الله عنه-، فقد كان بها حفياً فكُنيت به.

وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، وكانت قبله عند خَنيس [عند خَنيس وخُنيس، هكذا الضبط]

ابن حُذافة، وكان من اصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- توفي بالمدينة وقد شهد بدرا.

ويروى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- طلّقها فأتاه جبريل -عليه السلام- فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة.

الثابت في الجملة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- طلقها وراجعها كما ثبَت ذلك عند الترمذي في جامعه، وما قيل وراء ذلك فإنه لم يثبت لإرساله كما رجح ذلك الدار قطني -رحمه الله تعالى- في العلل.

وروى عقبة بن عامر الجهني قال: طلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك عمر فحثى على رأسه التراب وقال: ما يعبأ الله بعمر وبنته بعد هذا، فنزل جبريل من الغد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: إن الله -عز وجل- يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر.

وهذا أيضا غير ثابت كما تقدم، وهو وجه من أوجه الرواية في تطليق النبي -صلى الله عليه وسلم- لحفصة، والثابت ما ذكرنا مما جاء عند الترمذي في جامعه.

وقد جاء في الحديث الأول أن العلة أن الله أمره بمراجعتها، وجاء في الثاني أن مراجعتها كانت رحمة لعمر، واختلف أهل العلم في الجمع بين الروايتين، والجمع فرع الثبوت، ولا يثبت في ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيء.

توفيت سنة سبع وعشرين وقيل ثمان وعشرين، عام أفريقية.

وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة بنت صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

[اسمها رملة في قول الأكثرين وقيل اسمها هند]

هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصّر بالحبشة وأتم الله لها الإسلام، وتزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي بأربع مائة دينار، بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمرو بن أمية الضمري فيها إلى أرض الحبشة.

[أي في شأنها، بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- عمرو ابن أمية الضمري في شأنها إلى النجاشي]

ووليَ نكاحها عثمان بن عفان وقيل خالد بن سعيد بن العاص.

ولعل هذا الأقرب، أن الذي ولي نكاحها خالد بن سعيد بن العاص لأنه من بني عمومتها، وأتى بها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- شُرَحْبيل بن حسَنة -رضي الله عنه-.

توفيت سنة أربع وأربعين.

[وقيل اثنتين واربعين]

وتزوج الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

[هذا الذي مر معنا ،وهو من إخوان النبي -صلى الله عليه وسلم- من الرضاع، أرضعتهما ثويبة]

توفيت سنة اثنتين وستين ودُفنت بالمدينة، وهي آخر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- وفاة، وقيل إن ميمونة آخرهن.

[والأول أصح، جزم به جماعة كابن القيم -رحمه الله تعالى- في الهدي]

وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غالب بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهي بنت عمته أمية بنت عبد المطلب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن

حارثة فطلقها، فزوجها الله إياه من السماء ولم يعقد عليها، وصح أنها كانت تقول لأزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

توفيت بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع.

وهي أول زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- لحوقا به كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وقد جاء في لفظ عند البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه ما يوهم أن ذلك وقع لسودة، والصحيح الأول كما هو ثابت عند مسلم في صحيحه.

وقولها: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات هذا فيه إثبات العلو لله -تبارك وتعالى- كما هي عقيدة أهل السنة الراسخة من لدن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-

نكمل بعد الصلاة -إن شاء الله-.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، قال -رحمه الله-:

وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عمرو بن صعصعة بن معاوية، وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، وكانت تحت عبد الله بن جحش، وقيل الطفيل بن الحارث، والأول أصح، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة ولم تلبث عنده إلا يسيرا، شهرين أو ثلاثة.

هذه توفيت في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن المصطلق الخزاعية.

جويرية هكذا اسمها، وقد جاء في صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- غيّر اسمها، فقد كان اسمها أولا بَرّة فغيرها النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى جويرية.

فهي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، والحارث بن أبي ضرار والدها أسلم وجعله النبي -صلى الله عليه وسلم- على صدقات قومه.

سُبيَت في غزوة بن المصطلق...

وغزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة، وفيها حادثة الإفك المشهورة.

فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها

أي كاتَبها على عتاقها، بأن تدفع له مالا معينا يكون ذلك ثمنا لعتاقها.

فقضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كتابها وتزوجها في ست من الهجرة وتوفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين.

وكانت مباركة على قومها، فإن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لما علموا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قضى كتابها الذي كاتبته من أجل عتاقها تركوا ما كان تحتهم من نساء السبي من بني قومها، فكانت مباركة على قومها -رضي الله عنها وأرضاها-.

وتزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صفية بنت حُيي بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الخزرج النضرية، من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران -عليهما السلام-.

وهذا بلا خلاف بين أهل العلم، وأنها من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران -عليهما السلام- وصح بذلك خبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

سُبيت في خيبر سنة سبع من الهجرة، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق، قتله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

[وقبله أيضا عند سلّام بن مِشكَم، ففارقها.]

وأعتق صفية وجعل عتقها صداقها.

وهذا ثابت في الصحيحين وهو من خصائصه -عليه الصلاة والسلام- دون غيره في أحكام الزوجات كما ذكر ذلك أبو عمر ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-.

وتوفيت سنة ثلاثين، وقيل سنة خمسين.

والأول أشهر.

وتزوّج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بُجير بن الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وهي خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس، تزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسَرِف وبنى بها فيه

وبنى بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي حلال كما ثبت ذلك في صحيح مسلم.

وأما ما جاء عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تزوجها وهي محرمة فهذا مما أخطأ فيه ابن عباس كما ذكر ذلك سعيد بن المسيب وجمع من أهل العلم.

وماتت به، وهو ماء على تسعة أميال من مكة، وهي آخر من تزوجَ من أمهات المؤمنين، تُوفيت سنة ثلاث وستين.

آخر من تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- من أمهات المؤمنين ودخل بهن.

فهذه جملة من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة، وعقد على سبعٍ ولم يدخل بهن.

وزاد بعضهم فوصّلها إلى أكثر من عشر، ولا يثبت في ذلك كبير شيء، وينبغي التوقف في هذا الباب كما قال أبو عمر ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-.

ذِكرُ خَدَمه -صلى الله عليه وسلم-.

المُصنّف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل ذكر خدم النبي -صلى الله عليه وسلم- الذين تشرفوا بخدمة النبي -صلى الله عليه وسلم- فذكر أشهرهم، وقد وقع في بعض نسخ الكتاب خلط بين هذا الفصل والذي يليه، يُنتبه لذلك.

قال: خدم النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- أنسُ بن مالك بن النَّضر الأنصاري.

وهذا أشهر من خدم النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد خدمه عشر سنين، كما صح ذلك الخبر في الصحيحين عنه -رضي الله عنه-.

وثبت أيضا أنه قال ما نهرني قط، وقال أنه ما قال له لشيء فعلته لم فعلت كذا وهلّا فعلت كذا، وهذا من جميل وكريم خُلقه -صلى الله عليه وسلم-.

قال: وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان

وهما من أصحاب الصفة، وقد شهدا الحُديبية، وهند وأسماء هذه من الأسماء المشتركة عند العرب بين الرجال والنساء فيسمون الرجل هندا ويسمون المرأة هندا، ويسمون الرجل أسماء ويسمون المرأة أسماء، فهو من الأسماء المشتركة في أسماء أُخَر.

وربيعة بن كعب الأسلمي.

وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه، كان إذا قام ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم

وقد ثبت عند ابن سعد في الطبقات أن ممن كان يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- في نعليه أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه-

وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته، يقودها في الأسفار

كما ثبت ذلك عند أبي داود في سننه، وثبت في بعضه الروايات أن النبي -صلى الله عليه وسلم- علّمه المعوذتين.

وبلال بن رباح المؤذن

وهذا مؤذن النبي -صلى الله عليه وسلم- مشهور، كان يؤذن للنبي -صلى الله عليه وسلم- في الحضر وفي السفر.

وسعد مولى أبي بكر الصديق

وقد جاء عند الحاكم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت تعجبه خدمة سعد له فأمر أبا بكر أن يعتقه فأعتقه.

وذو مِخمَر ابن أخي النجاشي، ويقال ابن أختِه ويقال ذو مِخبَر بالباء

نعم كما عند البخاري في التاريخ الكبير، والأول أصوب، وعدّه بعضهم من الموالي كما ذكر ذلك ابن الأثير

وبُكير بن شّداخ الليثي ويقال بكر، وأبو ذر الغفاري

جندب بن جنادة الغفاري -رضي الله عنه- وكان يقول: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة، يقصد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وبلالا، كما عند الحاكم وغيره.

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل أحد عشر رجلا ممن كان يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي كتب السيرة والتاريخ ذُكر غيرهم واقتصر المصنف -رحمه الله تعالى- على أشهرهم كما سبقت الإشارة إليه.

قال -رحمه الله تعالى-:

فصل في ذكر مواليه

والمولى تُذكر في لغة العرب ويراد بها عدة معان، والمقصد في هذا المقام الذين اشتراهم النبي -صلى الله عليه وسلم- من العبيد أو أُهدي إليه من العبيد فأعتقهم.

قال: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وابنه أسامة بن زيد، وكان يقال لأسامة بن زيد: الحِب بن الحِب

وهذا قد ثبت في الصحيحين في قصة المخزومية التي سرقت، وهو أشر مواليه -صلى الله عليه وسلم-.

قال: وثوبان بن بُجدُد وكان له نسب في اليمن

يقال إنه من حمير، أصابه سبي فاشتراه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأعتقه.

وأبو كبشة من مُوَلّدي مكة، ويقال اسمه سليم معا.

وهذا لم يتمحض عربيةً، قال المصنف معا، أي سُليم وسَليم، فإذا وجدتم كلمة معا في الأحاديث أو وجدتموها في الكتب فالمقصود بذلك أن الضبط يكون بالوجهين سُليم وسَليم.

قال: شهد بدرا، وقيل كان من مُولّدي أرض دوس

ذكر ابن هشام أنه من أهل فارس، اشتراه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأعتقه.

قال: وأنَسَة، من موَلّدي السراة.

وهذا شهد بدر وأحدا ومات بعدهما.

قال: وصالح وهو شُقران

هذا اشتراه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأعتقه بعد بدر.

قال: ورباح، أسوَد

وهذا اشتراه النبي -صلى الله عليه وسلم- من وفد عبد القيس وأعتقه، وكان يأذَن للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد جاء في خبره أنه أذِن لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما اعتزل النبي -صلى الله عليه وسلم- نساءه، والحادثة في الصحيحين كما هو معلوم.

وقد سمّاه مسلم في من كان يأذن للنبي -صلى الله عليه وسلم- في الحادث التي هجَر فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- واعتزل نساءه.

قال: ويسار، نوبي

وهو الذي كان يرعى الإبل للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وقصته في الصحيحين في حديث العُرنيين الذين أرسلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- لمّا مرضوا أن يشربوا من أبوال الإبل ومن ألبانها، فقتلوا هذا المولى وهو يسار وسملوا عينيه فالنبي -صلى الله عليه وسلم- فعل بهم ما فعلوا بهذا المولى.

قال: وأبو رافع واسمه أسلم

وهذا أشـهر ما قيل في اسـمه كما ذكر أبو عمر ابن عبد البر، وقيل إبراهيم، وكان عبدا للعباس فوهبه للنبي -صلى الله عليه وسلم- فأعتقه، وهذا كان قبطيا فأسلم وثبت على إسلامه وحسُن.

قال: وأبو مويهبة، من مُولّدي مُزَينة، وفَضالة، نزل الشام.

وهذان رجلان، وفي بعض النسخ ما يوهم أنه رجل واحد.

وأبو مويهبة كان يقود بعير عائشة -رضي الله عنها-، اشتراه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأعتقه، وفضالة هذا من أهل اليمن ونزل الشام.

ورافع كان مولى لسعيد بن العاص فورِثه، ولدُه، فأعتقه بعضهم وتمسّك بعضهم، فجاء رافع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يستعينه فوُهب له، وكان يقول: أنا مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وقيل إن ذلك وقع لأبي رافع المتقدم، والصواب أنه لرافع هذا وليس لرافع المتقدم الذي اسمه أسلم.

قال: ومدعم، أسود، وهبه له رفاع بن زيد الجُذامي وكان من مولّدي حِسمى، قُتِل بوادي القرى

قيل هو الذي غلّ الشملة يوم غزوة خيبر، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إنها لتشتعل عليه نارا» كما ثبت ذلك في الصحيحين، وقيل هو غيره.

قال: وكِركِرة، كان على ثَقَل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وكِركِرة هذا اختُلف في ضبطه على أنحاء وعلى أوجه، فقيل كِركِرة وقيل كَركَرة وقيل كَركِرة وقيل كِرَكْرة، إلى غير ذلك من الضبط ذكره أهل العلم فيما ذكروه من ضبط الرجال.

كان على ثقل النبي -صلى الله عليه وسلم- أي على رحله ومتاعه المحمول على دابته.

قال: وزيد جد بلال بن يسار بن زيد

له حديث واحد عند أبي داود والترمذي في جامعه، وهو حديث «مَن استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غُفر له ذنبه وإن فرّ من الزحف»

وعُبيد

وهو ابن عبد الغفار كما ذكر ابن الجوزي -رحمه الله تعالى-.

قال: وطهمان، أو كيسان، أو مهران، أو ذكوان، أو مروان.

وقيل ميمون، وقيل باذان، وقيل هرمز، كل هذا اسم لرجل واحد.

ومأبور القبطي أهداه للنبي -صلى الله عليه وسلم- المقوقس

وكان شيخا كبير وهو من جملة ما جاء للنبي -صلى الله عليه وسلم- من الهدايا من المقوقس، مع مارية ومع سيرين ومع أيضا الدلدل بغلة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومع عُفير.

قال: وواقد وأبو واقد

والاختلاف في هذا الاسم بسبب الاختلاف من الرواة، وابن عبد البر -رحمه الله تعالى- ذكره في باب واقد دون الكنية.

وهشام

وهو مولى بني هاشم.

قال: وأبو ضميرة.

واســـمه ســـعد الحميري كما قال البخاري -رحمه الله تعالى-، وقيل غير ذلك، وقال أبو حاتم: هو ســـعيد الحميري.

وحُنين

وكان عبدا وخادما كما ذكر ذلك أبو عمر ابن عبد البر.

وأبو عسيب

وقيل أبو عسيم، وقيل اسمه أحمر، وقيل مُرّة.

وأبو عبيد

ذكره ابن عساكر في الموالي.

وسفينة

وهذا لقبه، واختُلف في اسمه على أوجه، فقيل مهران، وقيل أحمر، وقيل رومان، وقيل رباح، وقيل غير ذلك.

هؤلاء هم المشهورون وقد قيل إنهم أربعون.

وقد ذكر ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- أن الموالي ثلاثة وأربعون وأن الإماء إحدى عشر.

وقد ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- من الإماء خمسة، من هؤلاء الإحدى عشر.

فذكر:

سلمى أم رافع

وهي زوجة أبي رافع المتقدم في الخُدام.

وبركة أم أيمن، ورثها النبي -صلى الله عليه وسلم- من أبيه، وهي أم أسامة بن زيد.

حاضنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولها قصة في الصحيحين مع أبي بكر وعمر، فإن نبينا -صلى الله عليه وسلم- لما مات دخل عليها أبو بكر وعمر وهي تبكي فقالا لها أتبكين وما عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيرٌ له؟

فقالت والله إني لا أبكي لوفاته ولكني أبكي لانقطاع الوحي ام ايمن -رضي الله عنها-.

وميمونة بنت سعد

وكانت تخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- كما عند الترمذي في جامعه.

وخَضِرة ورضوى.

ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات.

وذُكر غير هؤلاء من الموالي، وقد اعتنى بذكرهن ابن عساكر -رحمه الله تعالى- والنووي وابن الجوزي في آخرين من أهل العلم.

وهنا تنبيه مهم أن ما ذُكر من خدم النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن مواليه أن هؤلاء إذا جُمعوا في مكان واحد يتوهم المتوهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان بين يديه كل هؤلاء الخدم وهؤلاء الموالي، وهذا غير صحيح، فتنبهوا لهذا أيها الأحبة فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في القرَمانية، وهي فصلٌ فيه جواب فُتيا عن لباس النبي -صلى الله عليه وسلم- ودوابه أن هذا اجتمع للنبي -صلى الله عليه وسلم- في أوقات متفرقة.

هذا أولاً، وأما ثانيًا فإن هؤلاء الذين خدموا النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكونوا بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في كل شأنه فقد مر بنا أن بعضهم كان يخدمه في نعله، وبعضهم كان يقود به في أسفاره، وبعضهم كان ربما وضّأه -عليه الصلاة والسلام-، وبعضهم قاد بعير عائشة -رضي الله عنها-

في أعمال يسيرة قليلة غير متكررة فيتنبه لهذا.

ولشرف خدمة النبي -صلى الله عليه وسلم- عُد كل واحد ممن خدم النبي -صلى الله عليه وسلم- ولو يسيرا عُد من خُدامه، ولو في شيء واحد عد من خدامه.

كما مر بنا في رباح الذي كان يستأذن للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذا عُد من خدامه لمهمة واحدة، فلا بد من التنبه لهذا.

والأمر الثالث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يحب العتق وكان يوصي به، وقد مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يملك دينارا ولا درهما ولا ناقةً ولا بعيرًا ولا سلاحًا، إلا درعًا كان مرهونًا عند يهودي، ولا أرضًا إلا أرضًا جعلها في ابن السبيل كما صح ذلك الخبر عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- عند البخاري من حديث عمرو بن الحارث -رضي الله عنهما-.

فهذه تنبيهات ثلاثة احفظوها فإن بعض الناس يشوش ويلبس على الناس، وينقل للناس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان عنده كل هؤلاء الخدم وهؤلاء الموالي والجواب كما علمت من هذه الأوجه الثلاثة.

الرسالة القَرَمانية هذه من الرسائل المغمورة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي جواب فتوى في دواب النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلاحه ولباسه، طبعت مفردة وطبعت ضمن جامع المسائل في الجزء السابع منه، يَحسن الوقوف عليها، فقد ذكر شيخ الإسلام في مقدمتها كلاما بديعا ماتعا في بيان ما نحن بصدده من أن ذلك لم يجتمع للنبي -صلى الله عليه وسلم- في مكان واحد، وقد أشار إلى هذا المعنى أيضا أبو زكريا النووي -رحمه الله تعالى- في تهذيب الأسماء واللغات.

قال -رحمه الله-:

ذِكر أفراس رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ذكَر المصنّف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل أفراس النبي -صلى الله عليه وسلم- وأتبع ذلك بدوابه -عليه الصلاة والسلام-.

وقد قال الصالحي -رحمه الله-: كان له سبعة أفراس، وكان له من البغال ست، وكان له من الحُمر اثنان، وكان له من الإبل المُعدة للركوب ثلاثة ثم ذكرها -رحمه الله تعالى-

أول فرسٍ ملكه: السَّكب، اشتراه من أعرابي من بني فزارة، بعشر أواقٍ

هو السّكْب، هكذا بالإسكان، وكان أدهم اللون.

وكان اسمه عند الأعرابي الضَّرِس

والضـرِس في كلام العرب هو سـيئ الخلُق، فسـماه النبي -صـلى الله عليه وسـلم- السّـكْب، ومعناه في لغة العرب الجواد النشيط.

وكان من هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يغير الأسماء كما مر بنا أنه غيّر جملة منها.

وكان أغرّ محجّلاً طلق اليمين وهو أول فرس غزا عليه.

وكان له سُبحة، وهو الذي سابق عليه فسبَق ففرح به.

سُبحة ويضبط أيضا بفتح السين سَبحة.

والمرتجِز

بكسر الجيم، سُمي بذلك لحسن صهيله، من الرجَز وهو ضرب من ضروب الشعر، سُمي به فرس النبي -صلى الله عليه وسلم- فقيل المرتجِز، اشتراه من الأعرابي الذي شهد له خزيمة بن ثابت، والأعرابي من بني مُرة، وكان هذا المرتجِز أبيض.

وقال سهل بن سعد الساعدي: كان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندي ثلاثة أفراس، لِزازٌ والضّرِب واللحيف.

قال الصالحي في ضبط اللزاز، بكسر اللام لِزاز، وبِزاءين بينهما ألف، سُمي بذلك لالتصاقه، أي أنه يلتصق بالمطلوب لسرعته.

والضَّرِب، هكذا بفتح الضاد وكسر الراء واحد الضِراب من القوة والسّمَن، وجاء بكسر الضاد وسكون الراء الضِرْب، وهو الكريم من الخيل كما قال الصالحي.

واللحيف اختُلف في ضبطه على أوجه، فقيل اللَّحيف وهو الذي يَلحف الأرض بذنَبه لطوله يغطيها.

وقيل اللخيف بالخاء واللخيف معا،

يُضبط بالضبطين بالضم والفتح فيقال اللَّخيف ويقال اللُّخيف، حكاه البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه وقيل اللُّحيف بالحاء، وقيل اللجيف بالجيم، وهو السريع، وقيل بالنون أي النحيف، وأن ذلك كان من نحافته.

قال: فأما لزاز فأهداه له المقوقس، وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء فأثابه عليه فرائض من نعم بني كلاب.

فرائض: هو البعير، مأخوذ من الفريضة التي تُؤخذ في الزكاة، ثم سمي بذلك ما لم يُؤخذ فيها.

والنَّعَم هو المال، وهو أكثر ما يقع على الإبل، يُذكَّر ويؤنَّث كما ذكر ذلك الفرّاء.

وأما الضرب فأهداه له فروة بن عمر الجذامي

وقيل ربيعة المتقدم.

وكان له فرس يقال له الوَرْد

سـمي بذلك للَونه، فلَونه يقع بين الكُميت واللاحم والأشـقر، والفرق في ذلك في لون العَرف والذنَب، فما كان منهما أحمر فهو أشقر، وما كان منهما أسود فهو كُمَيت وما كان بينهما فهو الوَرْد.

أهداه له تميم الداري فأعطاه عمر فحمل عليه فوجده يباع.

هذه أفراس النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي سبعة متفق عليها وهناك غيرها مختلف فيه.

وقد نظم هذه السبعة محمد بن إبراهيم بن جماعة، ذكر ذلك عنه ابنه في المختصر الصغير، ونقله أيضا ابن القيم -رحمه الله تعالى- في الهَدْي، كما سمعه من شيخه عبد العزيز عن أبيه قال:

والخيل سكبٌ لحيفٌ سبحةٌ ضرِبٌ ** لزازُ مُرتجِزٌ وَرْدٌ لها أسرار

وكانت بغلته الدُلدُل يركبها في الأسفار، وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أسنانها وكان يُجش لها الشعير وماتت بينبع

وقد ذكر ابن فارس في سيرته أنها أول بغلة رُكبت في الإسلام، وقد بقيت إلى زمان علي -رضي الله عنه- وقد جاء عند الحاكم وغيره أن عليا -رضي الله عنه- قاتل الخوارج عليها.

وقد حُكي الإجماع على أن هذه البغلة كانت ذكرا لا أنثى، حكى بعضهم إجماع أهل الحديث، وهذا لم أجده إلا في قول مغمور نادر، وحكاية إجماع أهل الحديث خاصة هذه تحتاج إلى قوة في النقل وليست في الأقوال المغمورة التي توجد في الحواشي وغيرها، فينتبه لمثل هذا.

ومعنى الدُّلدُل في لغة العرب: القنفذ العظيم، وكانت شهباء اللون.

وقد اقتصر المصنف -رحمه الله تعالى- كما ترون في بغال النبي -صلى الله عليه وسلم- على الدُّلدُل، وذكر جماعة أيضا بعض البغال كما ذكر عُفَير ويعفور والصحيح أنهما اثنان، فهؤلاء جملة ما ملكه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد ضبط عُفَيرا عياض بالمعجمة أي غُفَير، واتفقوا على تغليطه كما ذكر ذلك أبو زكريا النووي في تهذيب الأسماء واللغات.

وحماره عُفير مات حجة الوداع، وكان له عشرون لَقحة بالغابة

لَقحة ولِقحة، وهي الناقة الحلوب.

يراحُ إليه كل ليلة بقِربتين عظيمتين من لبن، وكان فيها لِقاحٌ وغُزرٌ

أي كثيرة اللبن، ثم سمى عددا منهن فقال:

الحَنّاء

بفتح الحاء.

والسمراء

هذه قيل بأنها كانت لعائشة -رضي الله عنها-.

والعُريس

قيل كانت لأم سلمة.

والسعدية، والبَغوم

وهو صوت الناقة الذي لا يُفصح.

واليُسَيرة والرَّيا

بالمد والقصر.

وكانت له لقحة تُدعى بُردة، أهداها له الضحاك بن سفيان، كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان.

وكان له مهرة ارسل بها سعد بن عبادة من نعم بني عقيل.

والشقراء

وهذه الشقراء ابتاعها هي والرَّيا من سوق النبط من بني عامر، كما ذكر ذلك أبو عمر ابن عبد البر.

وكانت له العضباء وهي القصواء والجدعاء

في قول جماعة من أهل العلم وهذا الذي رجحه المصنف -رحمه الله تعالى-، وهذه المسألة فيها خلاف ذكر ذلك النووي -رحمه الله تعالى- في شرح مسلم وابن القيم في الهدي ولم يقطع بشيء، ووصف الحافظ ابن كثير أن من جعل هذه الثلاث واحدة أن هذا قول غريب جدا، كأنه يميل الى أن كل واحدة من هذه من نوق النبي -صلى الله عليه وسلم-، فالعضباء ناقة والجدعاء ناقة والقصواء ناقة، وهذا قول جماعة.

وقد اختار المصنف كما رأيت أن هذه الاسماء لناقة واحدة.

ابتاعها أبو بكر من نعم بني الحُريش، في قيس بن عيلان من الأزد أيضا وأخرى بثمانمائة درهم، فأخذها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأربعمائة درهم، وهي التي هاجر عليها، وكان حين قدما المدينة رَباعية، وهي القصواء والجدعاء، وقد سُبقت فشق على المسلمين.

جعل المؤلف -رحمه الله- الثلاث واحدة.

وكانت له منائح سبع من الغنم:

عجزة وزمزم وسقيا وبركة وورسة وأطلال وأطراف، وكان له مائة من الغنم.

وقد جاء عند أبي داود في السنن من حديث لقيط بن صبرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يتعمد ألا يزيد هذا العدد على المائة من الغنم، فكلما ولدت واحدة ذبح أخرى حتى يبقى العدد على ما هو عليه.

وقد مر بنا عند البخاري من حديث عمرو بن الحارث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مات ولا يملك ناقة ولا شاة ولا بعيرا.

هنا فائدة كما ترون أن المصنف -رحمه الله تعالى- كلما ذكر شيئا مما تملّكه النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر له اسما، وهذه عادة العرب، فإن العرب تسمّي الأشياء، النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يسمي الأشياء، والعرب كان يسمون الأشياء، لكنهم ما كان يسمّون أي شيء وإنما ما كان قريبا منهم وما كان نفيسا عندهم فإنهم يسمونه.

والفائدة الثانية أن المصنف -رحمه الله تعالى- ذكر فيما تملكه النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر أنه تملّك سبعة من الأفراس، وذكر أنه تملك بغالا وتملك غنما، فهل تملك النبي -صلى الله عليه وسلم- البقر؟

هذا فتشت عنه فوجدت أن ابن سيد الناس في عيون أهل الأثر -الوحيد ممن وقفت عليه- ممن ذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يتملك بقرا.

وهذا الجواب منه -رحمه الله تعالى- صحيح وغير صحيح.

كيف ذلك؟ النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يتملك بقراً تملك الرعاية والتربية.

كل ما ذكر هنا تملّكه النبي -صلى الله عليه وسلم- رعاية وتربية.

ولكن النبي -صلى الله عليه وسلم- ثبت عنه في الصحيح أنه ضحّى عن أزواجه بالبقر، والتضحية فرع التملُّك، فإن الإنسان لا يضحي إلا بما تملك.

ولهذا يقال: إذا سئلت هل تملك النبي -صلى الله عليه وسلم- بقراً ماذا تقول؟ تملك ولم يتملك.

فتملك للتضحية والتضحية فرع التملك، ولم يتملك رعاية وتربية.

والذي نص على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يتملك هو ابن سيد الناس في كتابه عيون الأثر.

لما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- دواب النبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة الخيل ناسب أن يذكر بعد ذلك السلاح، فإن الخيل يقاتَل عليها، والذي يقاتَل به هو السلاح.

قال -رحمه الله تعالى-

سلاحه -صلى الله عليه وسلم-.

وكان له ثلاثة رماح أصابها من سلاح بني قينقاع

وهذه قبيلة من اليهود، والنون في قينقاع ثلاثية تُثَلّث.

وقد قال الصالحي في سبل الهدى والرشاد: عدد رماحه -صلى الله عليه وسلم- خمسة.

الأول: المثويّ، وهو المطعون به.

والثاني: المُنثني.

والثالث والرابع والخامس: ثلاثة أرماح أصابها من سلاح بني قينقاع، وهي اللتي ذكرها المصنف -رحمه الله تعالى- هنا.

وثلاثة قسِيّ: قوس اسمها الروحاء، وقوس شوحط.

وقوسه الصفراء وتدعى الصفراء.

وهي من نبع، وهو نوع من الشجر، تدعى الصفراء، فهذه ثلاثة أقواس وأضاف ابن فارس: الكتوم، من أقواس النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأضاف الدمياطي والسهيلي الزوراء.

وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش فكره مكانه

ترس فيه تمثال رأس كبش، وقيل رأس عُقاب.

فأصبح وقد أذهبه الله -عز وجل-

فكره مكانه فأصبح وقد أذهبه الله -عز وجل-، ذكر ذلك جماعة من نقلة السيرة، كابن فارس وابن جماعة في آخرين.

وكان سيفه ذا الفقار

ذو الفَقار والفِقار معا، حكى الضبط ابن القيم والمناوي في شرح الألفية.

تنفّله يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد

كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري، رأى أنه قد انكسر صدره، وهو ما أصاب المؤمنين يوم أحد، ثم هزّه فكان أحسن ما يكون، وهو الذي حصل من اجتماع المؤمنين بعد ذلك.

وكان لمنبّه بن الحجّاج السهمي.

وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف، سيفٌ يُدعى قلَعيا

هكذا بالتحريك كما ضبطه الذهبي في تاريخ الإسلام.

وسيفٌ يدعى بتّارا

وهو القاطع

وسيفٌ يدعى الحتف

وهو الموت، وقيل في ضبطه: الحنيف، فيمكن أن الضبط قد جاء على الأمرين ويمكن أن أحدهما وقع وهمًا من الرواة وتتابع نقلة السيرة في نقله.

وكان عنده بعد ذلك المِخذَم

وهو سرعة القطع.

ورَسوب

من رسوب الماء، وهذا كناية على أنه إذا ضرب به أنه يقطع حتى يصل إلى الأرض، كناية عن رسوب الماء، سمي به.

أصابهما من الفِلس، وهو صنم لطيء.

وله سيفٌ يقال له العضب ذكره ابن فارس، وآخر يقال له القضيب.

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: كان نعل سيف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فضة وقبيعته فضة وما بينهما حلق فضة.

أي أن سيف النبي -صلى الله عليه وسلم- أعلاه كان فضة، وهو الذي يكون على رأس قائم السيف.

وهذا عند أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم، والصواب فيه الإرسال كما قال الدارقطني في العلل، وهو المحفوظ كما ذكر البيهقي في السنن.

وأما اللفظ الذي يذكره المصنف -رحمه الله تعالى- فهذا عند النسائي والطحاوي في مشكل الآثار، من حديث عمرو بن عاصم الكلابي عن همّام عن قتادة عن أنس.

قال أبو حاتم: لا يُحتج بعمرو، وقال أبو داود لا أنشط لحديثه.

وقد نبّه أبو داود أن المرسل المشار إليه هو أولى وأقوى من الأحاديث الباقية، وأنها كلها ضعاف.

وأصاب من سلاح بني قينقاع درعين، درع يقال له السُغدية

السغدية ويقال لها السعدية.

ودرع يقال له فضة، ورُوي عن محمد بن مَسلمة قال: رأيت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم أحُد درعين، درعه ذات الفضول ودرعه فضة، ورأيت عليه يوم خيبر درعين، ذات الفضول والسغدية.

سميت ذات الفضول لطولها، وقيل إن هذه هي التي رهنها النبي -صلى الله عليه وسلم- عند اليهودي في الشعير، ومات ودرعه مرهونة عنده.

وذكر الدمياطي من دروعه أيضا ذات الوشاح، وذكر ابن الأثير البتراء لِقِصَرها، وذُكر درع سابعة للنبي -صلى الله عليه وسلم- يقال لها الَخرنق، وهو ولد الأرنب.

فصلٌ في صفته -صلى الله عليه وسلم-

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-

صفته الخَلقية لا الخُلُقية، أراد بها صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- الخَلقية منها، أي الظاهرة لا الباطنة، وسيذكر فيما يُستقبل من الفصول أخلاقه النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي الصفة الخُلقية.

وقد أكثر المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل من النقل عن الصحابة -رضي الله عنهم- في وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- في خِلقته -عليه الصلاة والسلام-، وهذا من فقهه -رحمه الله تعالى-، فإن أعرف الناس بصفات النبي -صلى الله عليه وسلم- الخَلقية والخُلقية هم أصحابه -رضي الله عنهم-، الذين صاحبوه ولا زموه.

وأوسع كتاب في ذكر صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- الخَلقية والخُلقية كتاب الحافظ أبي عيسى الترمذي -رحمه الله تعالى-: شمائل النبي -صلى الله عليه وسلم-

وهذا الكتاب من أجمع ما أُلِف وأوسع ما أُلِف وأحسن ما أُلِف كما ذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في البداية والنهاية.

ومن فقهه -رحمه الله تعالى- أنه ذكر في أول الكتاب خمسة عشر حديثا في صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- الخَلقية، ولما كان في هذه الأحاديث شيء من الغريب الذي قد لا يبلغ فقه بعض الناس أردف ذلك بأثر عن الأصمعي فسر فيه، هذه الألفاظ الغريبة الواردة في صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- الخَلقية، وتبع الحافظ الترمذي -رحمه الله تعالى- في ذلك مصنفنا ومؤلفنا عبد الغني المقدسي، فإنه لما ذكر هذه الآثار أتبعها بفصل في غريب الألفاظ التي وردت في هذه الأحاديث، وليس فيما ذُكر ما يستشكل إلا بعض المسائل التي ننبه عليها إن شاء الله.

روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- إذا رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- مُقبلا يقول:

أمينٌ مُصطفى بالخير يدعو ** كضوء البدر زايَلَه الظلامُ

وروي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يُنشد قول زُهير بن أبي سُلمى في هرِم بن سنان حيث يقول:

لو كنت من شيء سوى بشَرٍ** كُنت المضيءَ لليلةِ البدرِ

ويقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولم يكن كذلك غيره.

وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبيض اللون مشربًا حُمرة، أدعج العينين.

وجاء في الصحيحين ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، أي بين بين، أبيض مُشرب بحُمرة.

أدعج، وهذا جاء في صحيح مسلم أنه أشكل العينين، وجاء تفسيره عند سِماك أنه قال: طويل شق العين وهذا خطأه الحُفاظ فيه، والصواب في ذلك أنه حُمرة يسيرة في بياض، وهذا مما يُستحسن في وصف العين.

سَبط الشعر، كث اللحية، ذا وفرة

سَبْط أو سَبِط الشعر معًا، قد جاء في وصف أنس -رضي الله عنه-: ليس بجعد ولا قطَط ولا سَبط.

علي -رضي الله عنه- في هذا الحديث يقول: كان سبط الشعر، وأنس يقول: ليس بجعد ولا قطط ولا سبط، فكيف الجمع؟

الجمع أن يقال بأن وصف علي -رضي الله عنه- بأنه سبط الشعر أي أن فيه شيئا من الجعودة، ونفي أنس إنما نفي لنعومة الشعر التامة، فهذا هو الجمع بين الوصفين، فالنفي أن يكون شعر النبي -صلى الله عليه وسلم- سبطا أي أن يكون ناعما تام النعومة، وإثبات أنه كان سبط الشعر أن ذلك كان فيه نوع من الجعودة.

وهذا أحسن ما يكون من شعر الرجال.

وقد جاء عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن في شعره ولا في لحيته عشرون شعرةً بيضاء -صلوات ربي وسلامه عليه-.

دقيق المَسرُبة، كأن عنقه إبريق فضة

وجاء عند الترمذي كما سيأتي عند المصنف قال: جيده كأنه جيد دُمية في صفاء الفضة.

من لَبّته إلى سُرّته شعرٌ يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره

هذه هي اللبّة يا إخوان.

أي أن هذا الشعر مستمر من اللبة الى السُرة، شعر دقيق كالقضيب.

شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا مشى كأنما ينقلع من صخر، إذا التفت التفت جميعا، كأن عرقه اللؤلؤ، وريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر، ليس بالطويل ولا بالقصير [وهذا هو المربوع كما جاء في بعض الروايات]

ولا الفاجر ولا اللئيم، لم أر قبله ولا بعده مثله -صلوات الله وسلامه عليه-.

وجاء في لفظ: بين كتفيه خاتم النبوة.

خاتم النبوة بين كتفي النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاتم النبوة عبارة عن لحمٍ ناتئ كما جاء عند مسلم وهو كزِر الحَجَلة أي كبيضة الحجلة، وهذه اللحمة عليها شعرات، وفيها نتوءات كالثآليل، وكانت بين الكتفين، وهي إلى الكتف الأيسر أقرب.

وهل خاتم النبوة من خصائصه -صلى الله عليه وسلم- أم أن خاتم النبوة لكل أحد؟

خلاف بين أهل العلم.

وهل كان هذا الخاتم من زمن ولادة النبي -صلى الله عليه وسلم- أو أنه من حادثة شق الصدر؟

خلاف بين أهل العلم.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- أن الثاني أثبت، وأن ذلك كان من أثر الشق.

قال: وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفا، وأوسع الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة

أي طبيعة، أي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان سهلاً، كل أحد يتعامل معه بسهولة ويُسر ولهذا تقول العرب: ألين الناس عريكة.

وأكرمهم عِشرة

والعِشرة هي الصُحبة

من رآه بديهةً هابه ومن خالطه أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

أي من رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- فجأة هابه فإذا جالسه أحبه.

وهذا أكمل ما يكون عليه الرجال، حتى لا يستضعف ولا يستحقر، فأكمل الرجال من إذا رأيته هِبته، فإذا جالسته أحببته، هكذا كان نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

وقال البراء بن عازب: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مربوعا

أي بين الطويل وبين القصير وهذا أحسن ما يكون عليه الرجال.

بعيد ما بين المنكبين

والمنكب ما كان بين الكتف والعُنُق.

له شَعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه -صلى الله عليه وسلم-.

وقالت أم معبد الخزاعية

وهي عاتكة بنت خالد الخزاعية

في صِفته -صلى الله عليه وسلم-

وحديثها هذا مما اشتهر الخلاف فيه بين أهل العلم قديما وحديثا، ولعل أصوب ما قيل فيه ما ذكره الحافظ بن كثير بأن له طرقا كثيرة يشدّ بعضها بعضا

قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، مليح الوجه، حسن الخَلق، لم تعبه ثُجلة

الثُجلة عِظَم البطن مع استرخاء اسفله.

وقيل نَحلة، وهي الدقة والضعف.

ولم تزرِ به

أي تحتقره

صعلة

وهو صغر الرأس.

وقال ابن الاثير -رحمه الله تعالى- هي الدقة والضعف في البدن كله.

قالت -رحمها الله-:

قسيما وسيما، في عينيه دعَج، وفي أشفاره وطَف

وهو الطول

وفي صوته صهَل

وقيل صحَل، وهو صوت غليظ فيه بحة.

وفي عنقه سطَحٌ

أي طول

وفي لحيته كثافة، أزج أي متقوّس الحاجب

أقرن

أي ملتصق، وسيأتينا أيضا في وصف هند بن أبي هالة أنه من غير قرَن، فمن رآه من بعيد ظن أن الحاجبين ملتصقان، ومن دقق النظر لم يجد ذلك متصفا في حاجبي النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إن صمَت فعليه الوقار، وإن تكلّم سما وعليه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصلٌ، لا نزرٌ ولا هذر

فمعنى الفصل أي أنه ليس بقليل الكلام وهو النزر، ولا بكثير الكلام وهو الهذر.

كأن منطقه خرزات نظم يتحدّر

كلامه -عليه الصلاة والسلام- كأنه خرزات نظم، كأنه لؤلؤ يتحدر منه -صلى الله عليه وسلم-.

لا بائن من طول ولا تقتحمه عينٌ من قِصر

أي أنه ليس قصيرا تتعداه العين وليس طويلا كحال بعض الناس، وإنما هو مربوع كما جاء في الروايات.

غصنٌ بين غصنين

وقيل بأن المراد بذلك أبو بكر وعامر بن فهيرة

وهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفّون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره.

محفود

أي مخدوم

محشودٌ

أي حوله أصحابه -رضي الله عنهم-

لا عابسٌ

أي كالح الوجه

ولا مُفَنّد

أي منسوبٌ إلى الجهل وقلة العلم.

وجاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: كان -صلى الله عليه وسلم- رَبعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، ليس بجعدٍ ولا قطَط ولا سَبط، رجِل الشعر.

وهذا ثابت في الصحيحين.

طبعا في وصف أم معبد الخزاعية لابد أن نستحضر بأن هذا الوصف متى كان؟ كان في الهجرة، فإذا كان هذا في الهجرة وهي تصفه بهذا الجمال ومعلوم ما يلحق المهاجر من التعب ومن النصَب، فكيف لو رأته في حال حضَرِه بين أصحابه -صلوات ربي وسلامه عليه-.

وقال هند بن أبي هالة

وقلنا بأن هند هذا من الأسماء المشتركة عند العرب بين الرجال والنساء.

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مفخما، مفخّما

أي عظيما.

يتلألأ وجهه تلألُؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المُشذّب

والمشذب هو الطويل.

عظيم الهامة

أي أنه تام الرأس ليس فيه قصور وليس فيه صغر.

رجِل الشعر، إن انفرقت عقيقته أي شعره فَرَق، وإلا فلا يُجاوزُ شعرُه شحمة أذنيه إذا هو وفّرَه.

أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب

وقد مر بنا بأنه مُقوّس الحاجبين.

سوابغ من غير قرَن

وقد مر بنا بأنه أقرن، والجمع كما علمتم.

بينهما عِرقٌ يُدرّه الغضب

أي بين حواجبه -عليه الصلاة والسلام- عِرق إذا غضب فإن هذا العرق يمتلئ دما ويبرز من شدة الغضب، -صلوات الله وسلامه عليه-.

أقنى الأنف

وهو الطول الذي يكون في دِقة الأرنبة، أرنبة الأنف.

أقنى العِرنين

والعرنين هو الأنف أو رأس الأنف.

له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمّ

أي مشرف الأرنبة، من لم يتأمله.

كثّ اللحية، أدعج العينين، سهل الخدين، ضليع الفم

أي واسع الفم.

أشنب

أي أبيض يبرُق، وهذا تحديد في أطرافها.

مفلّج الأسنان بين الثنايا والرّباعيات، دقيق المسربة

كما قلنا دقيق المسربة هو الشعر الذي يكون بين اللَّبة وبين السرة.

كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة

كما مر، كأن عنقه إبريق فضة -صلوات ربي وسلامه عليه-.

معتدل الخَلْق، بادنٌ متماسك، سواء البطن والصدر، مسيح الصدر

هكذا قال المصنف، والصواب في الرواية: فسيح، فلعل ذلك الأنسب، لما سيأتي، فإن مسيح الصدر هو عاري الثديين كما جاء في الوصف هنا: عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك.

أشعر الذراعين والمنكبين، عريض الصدر، طويل الزَّندين، رحب الراحة

أي واسع الكف.

شَثن الكفين والقدمين

أي عظيم الكفين والقدمين.

سائل الأطراف سبط القصب وهو حاشيته.

خُمصان الأخمصين

يأتي التنبيه عليها في شرح الغريب.

مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفؤا ويمشي هونا من غير اختيال

-صلوات ربي وسلامه عليه-

ذريع المشية

أي أنه -عليه الصلاة والسلام- إذا مشى أسرع.

إذا مشى كأنما ينحدر من صبب

كأنه ينزل من علو.

وإذا التفت التفت جميعا

وهذا من جميل خُلقه -عليه الصلاة والسلام- فإنه خافض الطرف -عليه الصلاة والسلام-، لا يسرق النظر، لا ينظر يمنة ويسرة.

من ناداه التفت إليه جميعا، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام.

وهذا من تواضعه -صلى الله عليه وسلم-.

ثم فسر الغريب الوارد في هذه الصفات في حديث علي وأم معبد وهند السابق.

قال -رحمه الله-:

فصلٌ: تفسير غريب ألفاظ صفاته -صلى الله عليه وسلم-.

فالوضاءة: الحسن والجمال، والأبلج الجبين: المشرق المضيء، ولم يُرَد به الحاجب لأنها وصفته بالقرَن.

والثُجلة بالثاء المثلثة والجيم: عِظم البطن مع استرخاء أسفله، ويروى بالنون والحاء المهملة وهو النحول وضعف التركيب.

والإزراء: الاحتقار للشيء والتهاون به.

والصَّعلة: صِغر الرأس، ويروى صقلة بالقاف، والصقل منقطع الأضلاع من الخاصرة، أي ليس بأثجل عظيم البطن ولا بشديد لحوق الجنبين، بل هو كما لا تعيب صفة من صفاته -صلى الله عليه وسلم-.

والوسيم: المشهور بالحُسن كأنه صار الحسن له علامة، والقسيم: الحسَن الوَجيه.

والدّعَج: شدة سواد العين، والأشفار: حروف الأجفان التي تلتقي عند التغميض، والشعر نابت عليها، ويقال لهذا الشعر الأهداب، فأراد به: في شعر أشفاره طول.

والغَطَف بالغين والعين الطول، وهو بالمعجمة أشهر، ومعناه أنها مع طولها منعطفة مثنية، وفي رواية: وطَف، وهو الطول أيضا.

والصّحَل: شِبه البحّة، وهو غِلظ في الصوت، وفي رواية: صهَل وهو قريب منه أيضا، لأن الصهيل صوت الفرَس وهو يصهل بشدة وقوة.

والسّطَع: طول العنق، والكثاثة كثرة في التفاف واجتماع.

والأزج: المقوّس الحاجبين، وقيل طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما إلى مؤخر العينين، والأقرن المتصل أحد الحاجبين بالآخر.

وسَما: أي علا برأسه، وفي رواية سما به، أي بكلامه على من حوله من جلسائه.

والفصل فسّرتهُ بقولها: لا نزر ولا هذر، فليس كلامه بقليل لا يفهم ولا بكثير يُمَلّ.

وقولُها: لا تقتحمه عينٌ مِن قِصَر: أي لا تزدريه لقصره فتجاوزه إلى غيره، بل تهابه وتقبله.

محفودٌ: أي مخدوم، محشود: الذي يجتمع حوله الناس.

وأنضر: أحسن، والعابس: الكالح الوجه.

والمُفنّد: المنسوب إلى الجهل وقلة العقل.

وفخما مفخّما: عظيما معظّما، والمشذّب: الطويل، والعقيقة: الشعر.

والعرنين: الأنف. والأقنى فيه طول ودقة أرنبته وحدَب في وسطه، والشمَم: ارتفاع القصبة واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا.

وضليع الفم أي واسع الفم، والشنَب في الأسنان هو تحدد أطرافها.

والمسرُبة: الشعر المُستدق ما بين اللَّبة إلى السُرّة.

والجيد: العنق، والدمية الصورة، والبادن: العظيم البدن، والمُتماسك: المستمسك اللحم غير مُسترخيه.

وقوله: سواء البطن والصدر يريد أن بطنه غير مستفيض، وصدره عريض فهو مساوٍ لبطنه.

وأنور المتجرد: يعني شديد بياض ما جُرد عنه الثوب.

ورحب الراحة: واسع الكف، والشثن: الغليظ.

وقوله خمصان الأخمصين: الأخمص ما ارتفع عن الأرض من باطن القدم، أراد أن ذلك مرتفع منها، وقد رُوي بخلاف ذلك.

وهذا لا يصح، وإنما الصحيح أنه أراد ما ارتفع من الأرض من أسفل القدم، أي أن في أسفل قدمه هذا النتوء المعروف، وهذا الأكمل في وصف الرِّجل والأكمل في الخلقة، ولهذا من تجد رجله أو قدمه ملتصقة بالأرض يعاني من المشي ونحو ذلك، ولا يناسبه الجري ولا يناسبه السرعة في المشي.

وما جاء في وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- كأنه ينحدر من صبب وأنه كان سريع المشية وسريع الخطوة، كل ذلك يتناسب مع ما كان من خمصان الأخمصين، أي ما كان مرتفعا من الأرض.

وقوله: مسيح القدمين يريد ممسوح ظاهر القدمين، فالماء إذا صُب عليهما مرّ مرّ سريعا لاستوائهما وإملاسهما.

الماء إذا وضع على قدميه فإنه ينزل ولا يثبت على القدمين.

وقوله: يخطو تكفؤا: يريد أنه يمتد في مشيته ويمشي في رفق غير مختال، والصّبَب هو الانحدار.

نعم، هذا جملة ما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- من تفسير غريب ما جاء في وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- في صفاته الخَلقية، الشاهد من هذا كله أن الله -تبارك وتعالى- قد أعطى نبيه كمال الوصف في الخلقة البشرية، وقد جاء عن جابر بن سمرة في الصحيح أنه نظر إلى القمر ليلة البدر ثم نظر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال -رضي الله عنه-: والله إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندي أجمل من القمر. -صلوات ربي وسلامه عليه-.

قال -رحمه الله-:

فصلٌ في أخلاقه -صلى الله عليه وسلم-.

لمّا فرغ المصنف -رحمه الله- من ذِكر صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- الخَلقية ذكَر الخُلقية وهي الشمائل، فذكر الصفة الظاهرة وهنا يذكر الصفة الباطنة.

وما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- هنا ثابتٌ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا ما يستدعي التنبيه عليه.

نعم

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أشجع الناس، قال عليّ بن أبي طالب: كما إذا احمَرّ البأس ولقي القوم القومَ اتقينا برسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا رواه النسائي بإسناد صحيح، ولمسلم نحوه من حديث البراء -رضي الله عنه- كما ذكر العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

وكان أسخى الناس، ما سئل شيئا قط فقال لا.

كما ثبت ذلك عن جابر في الصحيحين.

وكان أحلم الناس

كان أحلم الناس، والأحاديث في حلم النبي -صلى الله عليه وسلم- متواترة تواترا معنويا يصعب حصرها.

وكان أشد حياء من العذراء في خدرها.

العذراء هي البكر، في خدرها، وفسّرها بأنه قال: لا يُثبت بصره في وجه أحد.

وهذا الذي ذكره بأنه لا يُثبت بصره في وجه أحد هذا لا يُعرف في كلام المتقدمين، لا يُعرف من وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يثبت بصره في شيء ولا يُثبت بصره في أحد، هذا لا يعرف في كلام المتقدمين كما ذكر ذلك العراقي في تخريج الإحياء، بل إن ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث يبطل هذا الوصف.

ويكفي في ذلك ما جاء في الصحيح أنه أشد حياء من العذراء في خدرها، وذلك لا يَحمل على وضع البصر كلما نظر إلى شيء.

وكان لا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها، إلا أن تنتهك حُرمات الله فيكون لله ينتقم، وإذا غضب لله لم يقُم لغضبه أحد.

كما في الصحيحين من حديث عائشة.

والقريب والبعيد والقوي والضعيف عنده في الحق واحد.

وما عاب طعاما قط

هذا ينصرف إلى الطعام الحلال دون غيره.

إن اشتهاه أكَله وإن لم يشتهِه تركَه.

كما جاء ذلك في الصحيحين من حديث أبر هريرة -رضي الله عنه-

وكان لا يأكل متكئًا ولا يأكل على خِوان.

أو خُوان، معا، والخِوان هو ما ارتفع من الأرض من مائدة ونحوها، كما ثبت ذلك في البخاري من حديث أنس -رضي الله عنه-.

قال وكان لا يأكل متكئا: وهذا جاء صريحا في حديث البخاري -رحمه الله تعالى- من حديث أبي جحيفة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا آكُل متكئا»

والاتكاء وضع اليد على الأرض، ويطلق الاتكاء على التربع وليس مرادا في هذا الموضع.

ولا يمتنع من مُباح، إن وجد تمرا أكله، وإن وجد خبزا أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بُر أو شعير أكله، وإن وجد لبنا اكتفى به.

قول المصنف هنا: لا يمتنع من مباح المقصود به المتاح فالمباح هنا المقصود به المتاح.

وليس المراد به المباح الذي أراده الأصوليون في كتبهم، وإلا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قُدّم له ضب فلم يأكله وعافه، وقال إنه ليس بأرض قومي وقدم له لحم حمار وحشي فردّه لأنه كان مُحرِما -صلوات ربي وسلامه عليه-.

قال: أكل البطيخ بالرُطب

والبطيخ هو الخِربِز المعروف بالشمام، وليس المقصود البطيخ الأخضر الذي في داخله حُمرة، وإنما البطيخ الذي يرد في النصوص إنما المراد به الأصفر الشمام، وقد نقل الإمام أبو عبد الله ابن القيم -رحمه الله تعالى- في المنار عن الإمام أحمد أنه لا يثبت في فضل البطيخ شيء، وإنما الثابت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أكله.

وكان يجمع بينهما كما عند أبي داود وغيره، قال: «يكسر حر هذا برد هذا وبرد هذا حر»

هذا كان يجمع بين الرُطب والبطيخ وهذه سنة قل من يعمل بها.

قال: وكان يحب الحلواء والعسل

وهذا ثابت في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير.

وهذا رواه البخاري، وروى مسلم نحوه من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

قال: وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد في بيت من بيوته نار، وكان قُوتهم التمر والماء.

وهذا ثابت عند أحمد من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

قال: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة.

كما عند أبي داود من حديث أبي هريرة.

قال: ويُكافئ على الهدية.

فكان -صلى الله عليه وسلم- يقبل الهدية ويكافئ عليها، هذا ثابت عند البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

قال: لا يتأنق في مأكل ولا ملبس.

أي أنه لا يتكلف في تحسينه، ما وجد من المباح أكله إن اشتهاه، وإلا تركه إن عافه.

قال: يأكل ما وجد ويلبس ما وجد، وكان يخصف النعل ويرقّع الثوب.

كما في المسند من حديث عائشة -رضي الله عنها-

ويكون في مهنة أهله

كما عند البخاري من حديث عائشة.

وكان يعود المرضى

-صلوات ربي وسلامه عليه-.

وكان -عليه الصلاة والسلام- اشد الناس تواضعا، يُجيب من دعاه من غنيٍ أو فقيرٍ أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم.

كما في المستدرك من حديث سهل بن حنيف عن أبيه -رضي الله تعال عنه-.

ولا يحقِر فقيرا لفقره، ولا يهاب ملكا لملكه.

وكان يركب الفرس والبعير والحمار والبغلة.

وهذا ثابت في النصوص في أحاديث كثيرة.

قال: ويُرْدِف خلفه عبده أو غيره.

كما جاء في مسلم في إرداف النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله»

قال: لا يدعُ أحدا يمشي خلفه، ويقول: خلّوا ظهري للملائكة.

وهذا جاء عند أحمد وابن ماجة من حديث جابر -رضي الله عنه-.

قال: ويلبس الصوف وينتعلُ المخصوف.

قوله هنا: يلبس الصوف أي أنه إن وقع له لباس من صوف، لا أنه يتعمد لبس الصوف كما جاء في بعض الأحاديث التي رويت في غير دواوين السنة المشهورة ولا تقوم لها قائمة من أسانيد صحيحة.

وإلا فإن تعمد الصوف وتعمد لبسه والإكثار من لبسه وجعل ذلك من الزهد هذا من البدع كما ذكر ابن سيرين ونبّه عليه جماعة من أكابر أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كلام متين لهم، كابن القيم والذهبي وآخرين.

قال: وكان أحب اللباس إليه الحَبِرة وهي من برود اليمن، فيها حُمرة وبياض.

يقال لها الحبرة، وهذا ثابت في الصحيحين من حديث أنس.

قال: وخاتمه -صلى الله عليه وسلم- من فضة.

وهذا ثابت في الصحيحين من حديث ابن عمر.

قال: وفصه منه

أي من فضة، وهذا ثابت عن البخاري من حديث أنس.

قال: يلبسه في خنصره الأيمن وربما لبسه في خنصره الأيسر.

والنووي -رحمه الله تعالى- حكى في المجموع الإجماع على جواز لبس الخاتم في الخنصر الأيمن وجواز لبسه في الخنصر الأيسر، وأكثر الأحاديث وردت في الأيمن، وللحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى- كتاب حافل متين في أحكام الخواتيم.

قال: وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع

كما في المسند من حديث جابر -رضي الله عنه-.

قال: وقد أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض كلها فأبى أن يأخذها واختار الآخرة.

-صلوات الله وسلامه عليه-

قال: وكان يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة

وهذا كله جاء عند الحاكم في المستدرك والنسائي وغيرهما.

وقوله: ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة هذا ثابت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، وقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- ان ذلك من مئنة فقه الرجل أن يقصر الخطبة ويطيل الصلاة.

قال: أكثر الناس تبسما وأحسنهم بِشرا، مع أنه كان متواصل الأحزان دائم الفكر

هذا الوصف الذي ذكر المصنف من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان متواصل الأحزان مُعارض لما جاء من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يتعوذ من الحزن، ولهذا حكم بن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين على هذا الوصف بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان متواصل الأحزان بأنه منكر جدا.

وصحح هذا الوصف شيخه ابن تيمية -رحمه الله- ووجّه ذلك بأن أحزانه -صلى الله عليه وسلم- كانت من التفكر وليس الحزن الذي يكون من فوات شيء أو من الخوف من قدوم شيء، وقد صح هذا الوصف في وصف هند بن أبي هالة المتقدم.

قال: وكان يحب الطيب ويكره الريح الكريهة

هذا الذي جاء عند النسائي من حديث أنس.

قال: يستألف أهل الشرف، ويكرم أهل الفضل، ولا يطوي بِشره عن أحد ولا يجفو عليه، يرى اللعب والمباح فلا ينكره

وقد سابق النبي -صلى الله عليه وسلم- عائشة -رضي الله عنها- وقال هذه بتلك.

ويمزح ولا يقول إلا حقا

فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير، وقال لأحد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إنا حاملوك على ولد الناقة، فقال له كيف تحملني على ولد الناقة؟ قال وهل تلد النوق إلى الإبل؟

فهو لما سمع ولد الناقة ظن أنه صغير، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يمزح ولا يقول إلا حقا.

قال: ويقبل معذرة المعتذر إليه

هذا في حياته، وأما من وقع فيه -صلى الله عليه وسلم- فلا تقبل فيه المعذرة بعد موته -صلى الله عليه وسلم-.

له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس، ولا يمضي عليه وقت في غير عمل لله -تبارك وتعالى- أو فيما لا بد له أو لأهله منه

فكان يذكر الله -تبارك وتعالى- على جميع أحيانه كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة.

رعى الغنم وقال: ما من نبي إلا قد رعاها

كما ثبت في الصحيحين من حديث جابر -رضي الله عنه-.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مثله.

وسئلت عائشة عن خُلق النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت جماع ذلك كله، قالت كان خُلقه القرآن، يغضب لغضبه ويرضى لرضاه.

هذا اللفظ خارج الصحيح، عند الطحاوي في المشكل والطبراني في الأوسط وغيرهما.

وصح عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا شممت رائحة قط كانت أطيب من رائحة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولقد خدمت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عشر سنين، فما قال لي أفّ قَط، ولا قال لشيء فعلتُه لم فعلتَ كذا وكذا، ولا لشيء لما أفعله ألا فعلت كذا وكذا.

وهذا متفق عليه.

أين نحن من هذا الخُلق، أن يكون له خادم أو يكون له ولد ولا ينهره ولا وينهاه ولا يقول لم فعلت كذا هلا فعلت كذا..

هذا لا يكون إلا في كمّل الرجال، وأكملهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قد جمع الله تعالى له كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال وآتاه الله تعالى علم الأولين والآخرين.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أنه لم يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كذبة قط، ولا غدَرَ بأحد ولا أخلف موعداً، مع تغير الأحوال عليه من خوف وأمن وحرب وسلم.

من يقوى على هذا؟

وكان يقول خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي -صلوات ربي وسلامه عليه-

قال: وآتاه الله علم الأولين والآخرين.

أي ما كان من مقدور البشــر، وإن من العلوم ما اســتأثر الله -تبارك وتعالى- به، وقد قال في الصــحيح: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»

قال: وما وفيه النجاة والفوز، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم له من البشــر، نشــأ في بلاد الجهل والصحارى.

ومع ذلك أتاه الله وهذا العلم العظيم.

آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العالمين واختاره على جميع الأولين.

وقال فُضلت على النبيين بخمس وذكرها، كما في الصحيح.

فصلوات الله وسلامه عليه، صلاة دائمة إلى يوم الدين ورضي الله عن صحابته أجمعين.

ثم ذكر المصنف -رحمه الله تعالى-:

فصلٌ في معجزاته

والأولى أن تسمى هذه المعجزات بدلائل النبوة، كما ذكر ذلك جماعة من أهل العلم وصنّفوا في ذلك، كما فعل ذلك البيهقي في دلائل النبوة وأبو نعيم أيضا في كتاب دلائل النبوة.

ولفظ المعجزة لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا جاء على لسان احد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وأول من ذكره المعتزلة، كما نبّه على ذلك شيخ الإسلام أبو العباس -رحمه الله تعالى- في كتاب النبوات، وأراد بذلك أن كل ما يؤيد به الله -تبارك وتعالى- نبيه مما يكون خارقا للعادة مما يتحدى به البشر.

وليس من مقصود المعجزة التحدي فقط، وإنما المقصود منها تقوية الإيمان وتقوية الصلة بالله وبرسوله -صلى الله عليه وسلم- أيضا.

ثم ذكر من معجزاته وأنها أوضحها وأدلها دلالةً:

القرآن العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي أعجز الفصحاء وحير البلغاء وأعياهم أن يأتوا بعشر سور مثله أو بسورة أو آية، وشهد بإعجازه المشركون، وأيقن بالصدق الجاحدون والمُلحدون.

ولا شك أن القرآن هو أعظم معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو خالد إلى قيام الساعة.

قال: وسأل المشركون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بآية، فأراهم انشقاق القمر، كما جاء في قول الله -جل وعلا- ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾

وقال -صلى الله عليه وسلم- «إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُويَ لي منها»

فكان كما قال -عليه الصلاة والسلام- وصدق في قوله بأن ملكه ملك أمته بلغ أقصى المشرق والمغرب ولم ينتشر في الشمال والجنوب، كما أخبر -عليه الصلاة والسلام-.

وكان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر وقام عليه حنّ الجذع حنين العشار، حتى جاء إليه فالتزمه -عليه الصلاة والسلام- فكان يئن هذا الجذع كما يئن الصبي الذي يُسكّن ثم سكن.

إذا كان هذا الجذع، وحنّ للنبي -صلى الله عليه وسلم- هل لكم أن تتخيلوا كيف كان حال أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لما تُوفي -عليه الصلاة والسلام-؟

قال: ونبع الماء من أصابعه غير مرة.

وهذا ثابت من حديث أنس في صحيح البخاري.

قال: وسبح الحصى في كفيه فوضعه في كف أبي بكرن ثم عمر ثم عثمان فسبح

وتسبيح الحصى في كفه ثابت من حديث أبي ذر، لا ما ذكر المصنف أنه لما سبح الحصى في كفه وضعه ف كف أبي بكر ثم عمر ثم عثمان فسبّح فهذا لا يثبت في شيء من الأخبار، والله تعالى أعلم.

قال: وكانوا يسمعون تسبيح الطعام عنده وهو يؤكل.

وهذا ثابت عند البخاري من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

قال: وسلم عليه الحجر والشجر ليالي بُعث

وهذا ثابت من حديث جابر بن سمرة عند مسلم -رحمه الله تعالى-.

قال: وكلمته الذراع المسمومة ومات الذي أكل معه من الشاة المسمومة وعاش هو -صلى الله عليه وسلم- بعده أربع سنين

وهذا ثابت عند أبي داود من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-

قال: وشهد الذئب بنبوته

وهذا ثابت عند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-

قال: ومر في سفر ببعير يستقى عليه فلما رآه جَرجر ووضع جِرانه، فقال -صلى الله عليه وسلم- «إنه شكى كثرة العمل وقلة العلف»

وهذا ثابت من حديث يعلى بن أمية الثقفي عند أحمد في مسنده.

قال: ودخل حائطا فيه بعير فلما رآه حن وذرفت عيناه، فقال لصاحبه «إنه شكى إليّ أنك تُجيعه وتُدئبه»

وهذا ثابت من حديث عبد الله بن جعفر عند أبي داود وأحمد في مسنده.

قال: ودخل حائطا آخر فيه فحلان من الإبل قد عجز صاحبهما عن أخذهما، فلما رآه أحدهما جاءه حتى برك بين يديه، فخطَمه ورفعه إلى صاحبه، فلما رآه الآخر فعل مثل ذلك.

وهذا جاء من حديث بن عباس -رضي الله عنهما- عند الطبراني في الكبير وفيه مقال.

وكان نائما في سفرٍ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عنده، فلما استيقظ ذُكرت له فقال هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا جاء من حديث جابر عند الإمام مسلم -رحمه الله تعالى-.

قال: وأمر شجرتين فاجتمعتا، ثم أمرهما فافترقتا.

هذا ثابت عند مسلم من حديث جابر -رضي الله عنه-.

وسأله أعرابي أن يريه آية، فأمر شجرة فقَطَعت عروقها حتى جاءت فقامت بين يديه، ثم أمرها فرجعت إلى مكانها.

وهذا رواه البيهقي بإسناد جيد كما قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-.

قال: وأراد أن ينحر ست بدنات، فجعلن يزدلفن إليه بأيهن يبدأ.

كل واحدة تريد أن يبدأ بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هذا جاء عند أبي داود من حديث عبد الله بن قرط عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: ومسح ضرع شاة حائل لم ينزُ عليها الفحل

فشأنها أن لا يكون فيها لبن

قال: فحفل الضرع فحلب وشرب وسقى أبا بكر -رضي الله عنه-.

وهذا جاء عند أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود.

قال: ونحو هذه القصة في خيمتي أم معبد الخزاعية

التي مرّ ذكرها.

قال وندَرَت -أي سقطت- عين قتادة النعمان الظفري -رضي الله عنه- حتى صارت في يده، فردها فكانت أحسن عينيه وأحدّهما، وقيل إنها لم تُعرف.

وهذا جاء من حديث قتادة بن النعمان عند الطبراني في الكبير، وفيه مقال.

وتفل في عيني علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو أرمد فبرأ من ساعته ولم يرمد بعد ذلك.

وهذا ثابت عند البخاري من حديث سهل بن سعد -رضي الله عنه-

ودعا له أيضا وهو وجِع فبرأ ولم يشتكِ ذلك الوجع بعد ذلك.

هذا جاء من حديث علي عند الترمذي في جامعه وقال حديث حسن صحيح.

قال: وأصيبت رِجل عبد الله بن عتيق الأنصاري فمسحها -صلى الله عليه وسلم- فبرأت من حينها.

جاء من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- عند البخاري في صحيحه.

وأخبر أنه يَقتل أبيّ بن خلف الجُمحي فخدشه يوم أحد خدشًا يسيرا فمات.

وهذا ذكره البيهقي في الدلائل وفيه مقال.

وقال سعد بن معاذ لأخيه أمية بن خلف: سمعت محمدا يزعم أنه قاتلك، فقُتل يوم بدر كافرا.

هذا عند الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه-.

وأخبر يوم بدر بمصارع المشركين، فقال «هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله» فلم يعدُ واحد منهم مصرعه الذي سماه.

هذا ثابت من حديث أنس عند الإمام مسلم في صحيحه.

وأخبر ان طوائف من أمته يغزون البحر، وأن أم حرام بنت ملحان -رضـــي الله تعالى عنها- منهم، فكان كما قال.

وهذا ثابت عن انس من حديثي انس عند البخاري -رحمه الله تعالى- وكان صـــاحب هذه الغزوة وقائدها يزيد بن معاوية -رضي الله تعالى عنه-

وقال لعثمان بن عفان إنه سيصيبه بلوى شديدة -يريد ما حصل له يوم مقتله- فقُتل عثمان -رضي الله عنه- شهيدا

كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-.

وقال للحســـن بن علي: «إن ابني هذا ســـيد، ولعل الله أن يصـــلح به بين فئتين من المؤمنين عظيمتين» فكان كذلك.

وهذا ثابت في البخاري من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-.

وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وبمن قتَله وهو بصنعاء اليمن

وهذا جاء في بعض الأخبار نقلها بعض نقلة السيرة

وبمثل ذلك في قتل كسرى

وقد جاء ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-

وأخبر عن خبر الشيماء بنت بُقيلة الأزدية أنها رُفعت له في خمار أسود على بغلة شهباء، فأخذت في زمن أبي بكر صديق -رضي الله عنه- في جيش خالد بن الوليد بهذه الصفة.

وهذا جاء عند الطبراني في الكبير من حديث خزيم بن أوس -رضي الله تعالى عنه- وفي سنده مقال.

وقال لثابت بن قيس بن شمّاس: «تعيش حميدا وتقتل شهيدا» فعاش حميدا وقُتل يوم اليمامة شهيدا.

وهذا ثابت من حديث ثابت بن قيس بن شماس رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وقال لرجل ممن يدعي الإسلام وهو معه في القتال أنه من أهل النار

لمّا استعظم أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه من أصحاب النار.

فصدّق الله قوله بأنه نحَر نفسه.

وهذا ثابت في البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه وأرضاه-

ودعا لعمر بن الخطاب أن يعز الله به الإسلام أو بأبي جهل ابن هشام فأصبح عمر فأسلم.

وهذا ثابت عنده أحمد بن حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

ودعا لعلي -رضي الله عنه- بأن يُذهب الله عنه الحر والبرد فكان لا يجد حرا ولا بردا.

وهذا جاء من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقد رواه الإمام أحمد وغيره وفي سنده مقال.

ودعا لعبد الله بن العباس -رضي الله عنهما- بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل فكان يسمى الحبر ويسمى البحر لكثرة علمه.

وهذا ثابت عند الإمام البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

ودعا لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد وأن يبارك الله له فيه فوُلد له مئة وعشرون ذكرا لصلبه.

هذا من بركة دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وكان نخله يحمل في السنة مرتين، وعاش مائة سنة أو نحوها.

وهذا ثابت في صحيح البخاري من حديث أنس.

وأنتم كما ترون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا له بطول العمر وقد اشتهر في دعاء الناس أنهم إذا دعوا للرجل بطول العمر قالوا: في طاعة الله، والنبي -صلى الله عليه وسلم- دعا لأنس بذلك من غير أن يقيد هذا الدعاء بهذا القيد.

فهذا الذي يظهر أن الإنسان إذا دعا لآخر بطول العمر أنه لا يلزم أن يقيده أن يكون طول العمر في طاعة الله -عز وجل-.

فإن العمر لا يحمد لذاته، وإنما يحمد بما يملؤه العبد من طاعة الله -تبارك وتعالى-، وهذا هدي النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وكان عتيبة بن أبي لهب قد شق قميصه وآذاه فدعا عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه، فقتله الأسد بالزوراء من أرض الشام.

كما عند الحاكم في المستدرك من حديث العباس بن فضل الأنصاري عن أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه.

قال وشُكي إليه قحوط المطر وهو على المنبر فدعا الله -تبارك وتعالى- وما في السماء قزَعة -وهو الغيم والسحاب المتفرق- فثار سحاب أمثال الجبال

جاء في الرواية أنه من خلف جبل سلع، معروف في مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فمُطروا إلى الجمعة الأخرى حتى شُكيَ إليه كثرة المطر، فدعا الله -عز وجل- فأقلعت وخرجوا يمشون في الشمس.

وهذا ثابت في الصحيحين من حديث أنس.

قال: وأطعم أهل الخندق وهم ألف من صاع شعير أو دونه، وبهيمة، فشبعوا وانصرفوا والطعام أكثر ما يكون.

وهذا ثابت في البخاري من حديث جابر -رضي الله عنه-.

قال: وأطعم أهل الخندق أيضا من تمر يسير أتت به ابنة بشير بن سعد إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة.

وهذا جاء عند أبي نُعيم في الدلائل من حديث أخت النعمان بن بشير المذكورة.

قال: وأمر عُمرَ بن الخطاب ان يزود أربعمائة راكب من تمر كالفصيل الرابض، فزودهم وبقي كأنه لم ينقص تمرة واحدة.

وهذا جاء عند أحمد وفي سنده مقال.

وأطعم في منزل أبي طلحة -رضي الله عنه- ثمانين رجلا من أقراص شعير جعلها أنس -رضي الله تعالى عنه- تحت إبطه، حتى شبعوا كلهم وبقي على ما هو عليه.

وهذا جاء من حديث أنس في الصحيحين البخاري ومسلم.

قال وأطعم الجيش من مزود أبي هريرة حتى شبعوا كلهم، ثم رد ما بقي فيه، ودعا له فيه، فأكل منه حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم-، فلما قُتل عثمان ذهب، وحمل منه فيما رُوي عنه خمسون وسقا في سبيل الله.

وهذا جاء عند الترمذي وفي سنده مقال من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

قال: وأطعم في بنائه بزينب من قصعة أهدتها له أم سليم خَلقا، ثم رُفعت ولا يُدرَى الطعام فيها أكثر حين وُضعت أو حين رُفعت.

من بركته -صلى الله عليه وسلم-، وهذا ثابت في الصحيحين من حديث أنس.

قال: ورمى الجيش يوم حُنين بقبضة من تراب فهزمهم الله -عز وجل-، وقال بعضهم لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه ترابا، وفيها أنزل الله -تبارك وتعالى- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾

قال: وخرج من مكة يوم خرج على مائة رجل من قريش وهم ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ومضى ولم يروه.

في الحادثة المشهورة في كتب السيرة من حديث ابن عباس وفي إسنادها مقال ونقاش طويل قديما وحديثا.

قال: وتبعه سراقة بن مالك بن جعشُم -رضي الله عنه- يريد قتله أو أسره، فلما قرب منه دعا عليه فساخت يدا فرسه في الأرض فناداه بالأمان وسأله أن يدعو له فدعا له فنجاه الله -تبارك وتعالى-

وهذا ثابت في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه-.

قال -رحمه الله تعالى-:

وله معجزات باهرة، ودلالات ظاهرة، وأخلاق طاهرة، اقتصرنا منها على هذا تحقيقا.

اللهم صل على سيدنا محمد واجعلنا من صالحي أمته.

وقد ذُكر أيضا دلائل وبراهين في كتب السيرة عُني بجمعها جماعة من الحفاظ كالبيهقي وأبي نُعيم في الكتب التي سموها دلائل النبوة.

ثم ذكر -رحمه الله تعالى- فصلا تابعا لما ذكره، في سيرة المبشرين العشرة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسمّوا بذلك لأنهم وردوا في حديث واحد لعل قراءتها منكم تكفي.

وقد حصل المقصود من ذكر سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- المجملة المختصرة التي ذكرها الإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي -رحمه الله تعالى-.

هذا ما أردنا بيانه، وأعتذر على الإطالة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.